فضيلة العلامة الإنساني الكبير

محمد أمين شيخو

قدس الله سره

تأويل

جزء قد سمع

أنوار التنزيل وحقائق التأويل

المجلد السابع

جمعه وحققه المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

بإشراف فضيلة مرشده الأكبر الشيخ محمد الديراني

تأويل القرآن العظيم | Interpretation of the Great Qur’an

أنوار التنزيل / Lights of Descending & Realities of Meaning
وحقائق التأويل

المجلد السابع | Volume ٧

((جزء قد سمع))

Authored by:
The great humane eminent scholar
Mohammad Amin Sheikho
His soul has been sanctified by Al'lah
١٩٦٤-١٨٩٠

فضيلة العلامة الإنساني الكبير
محمد أمين شيخو
قدَّس الله سرّه

Checked and Introduced by
The Researcher and Thinker
Prof. A. K. John Alias Al-Dayrani

جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

Published by
Amin-sheikho.com

§§§§

موقعنا على شبكة الإنترنت:
www.amin-sheikho.com
info@amin-sheikho.com

الإهداء

تنزيل من حضرة الله ورسوله العظيم إلى عباده

الصادقين المخلصين وللحقّ على الباطل ناصرين،

الذين يبغون وجه الحقيقة والحقّ والدين،

ولو عارضت آراء المنحرفين، بل لو أطبق ضدّهم

آل الثقلين .. من لا يخشون في الحقّ لومة لائم..

ولا ينزاحون عن طلب اليقين من ربّ اليقين..

.. الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ..

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأُسْد في آجامها تجم



تلألأ الكون مسروراً بنشرتها .. نور الهدى قد بدا
من شمس الحقائق، فمحا عنّا العمى .. فهل عجزت العلماء
أن تأتي بعطاء مماثل ؟! ..
عطاءٌ أشده وأدهش لكل عالم وفيلسوف ، فازدان
الوجود جمالاً ، وطابت الطقوس الصمّ بالشهود
والشهد، إذ كانت قبله أشباحاً بلا أرواح،
وأوان بلا غذاء ، فجاء بالروح والريحان وجنّات النعيم ..
فيا أيها الناس قد جاءكم من الله نورٌ وشفاء .
بشراكم اليوم تزول الدسوس والشكوك والشبهات .
لقد تشرّفت العوالم بأسرها بأنوار التنزيل ، وتبيان فقه اليقين .
ختام المسك المحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ ..﴾ الأحزاب ٧٢.

حفظاً منَّا على أمانة النقل وحرصاً على سلامة التأويل العظيم كلام الخالق جلَّ وعلا، وبغية إيصال المضمون والمعنى لطالبي التقوى دون النظر إلى زخرف المبنى وغرور الألفاظ البيانية، ولإظهار وجه الحقيقة والحق والدين، لمن يبغي اليقين والنجاة بنفسه إلى ساحة السلام دنيا وبرزخ وآخرة، نشرنا هذا التأويل أخذاً عن أستاذنا أثناء شرحه الآيات دون تبديل أو تغيير خشية اختلاف المعنى في حالة تبديل المبنى، حتى ولو كانت بعض الألفاظ قد ألقيت باللغة العامية.

لذا فنحن لم ننحرف عن دلالة العلاَّمة الإنساني الكبير محمَّد أمين شيخو (قدَّس الله سره) قيد أنملة، حتى أننا لم نغيِّر لفظاً واحداً ذكره أثناء إلقائه دروس التأويل أيام الجُمع على مريديه، بل نقلنا ألفاظ هذا التأويل الإشراقي حرفيّاً من فمه الشريف، وأوردناه في هذا التأويل العالي الكريم لنفع البشرية والإنسانية بكل صقع وزمان.

الأستاذ المربي

عبد القادر يحيى الشهيربالديراني

محتويات الكتاب

تأويل سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ

{**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا..**}: لعلها امرأة ابن عمر رضي الله عنهما جاءت رسول الله ﷺ تطلب الطلاق من زوجها، والرسول الكريم ﷺ لم يرض لها بالطلاق لأنه ﷺ لا يحب التفريق بين الزوج وزوجته لما فيه من ضرر وأذى على الأولاد، وهو ﷺ القائل: (**إن أبغض الحلال عند الله الطلاق**)، فأخذت تجادله بطلاقها لأنها مظلومة عند زوجها وهي تكرهه لما فعل معها وأساء لها ولا تريد العيش معه، رسول الله ﷺ استمع لها ولاطفها حتى امتص غضبها فهدأت نفسها ثم انقلب الجدال إلى حوار مفيد. ولكن كيف قابل رسول الله ﷺ امرأة غير محرمة عنه؟ هذه حالة اضطرارية، فرسول الله ﷺ هو الحاكم وجاءته امرأة مظلومة ودخلت عليه والله يشهد لها بأنها مظلومة، إذاً أفلا يحكم بقضيتها ويحل لها الخلاف؟. هذه الحادثة ليست قانوناً، كمثل بيت يحترق وفيه نساء وسمع رجل صوت استغاثة النساء ألا يدخل لإنقاذهن؟! {**..وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ..**}: من هجر زوجها لها واعتبارها كأمه. {**..وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا..**}: صارت تسمع من رسول الله ﷺ وتفكر بكلامه فوجدته صحيحاً وتراجعت عن رأيها، وهنا بهذه الآية إشارة إلى أن يؤمن الإنسان بأنَّ الله يسمع السر وأخفى. {**..إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ..**}: لأقوالكم. {**..بَصِيرٌ**}: مشاهد أحوالكم، فكل ما يطرأ على النفس من حالٍ أو أحوالٍ تعتلج فيها من حب كراهية ورضى أو عدمه وخوف وإيمان فالله سبحانه بصير به ويرسل لهذه النفس ما يناسبها، لذلك أنزل سبحانه الحكم بهذه القضية.

٢ ـ

{**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ..**}: مثلاً يقول إنَّكِ حرامٌ عليَّ منذ اليوم أو حرامٌ أن أقربكِ "يتركونهن"، ويقول لها أنتِ عليَّ مثل أمي. {**..مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ..**}: هذه المرأة ليست أمك إنما هي زوجتك. {**..إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ..**}: جعل الحلال حراماً فهذا مستنكر والله لا يقبل به، فهل كان يأتي أمَّه بالسابق ويقاربها حتى يقول مثل هذا القول المنكر! {**..وَزُورًا..**}: خارجاً عن الحق، شيء باطل ليس له أساس. {**..وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**}: لمن يُقبل عليه سبحانه ويطلب الغفران والشفاء. لم يكن ذلك معلوماً في الجاهلية. (**لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**): سيرسل الله له شدائد ومصائب ليعود للحق وللصواب ويتوب التوبة النصوحة عن هذا الأمر، وهذا ما تعنيه كلمة غفور. وبعد هذه التوبة النصوحة يمحو الله من نفسه هذا الأمر نهائياً وهذا ما تعنيه كلمة عفو، فالتوبة الصحيحة تمحو الخطايا.

٣ـ

{**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ..**}: يجعل ظهره لظهرها علامة الابتعاد. {**..ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا..**}: يرجعون ويفكرون بما قالوا ويتراجعون عنه، هذا يترتب عليه كفارة. {**..فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ..**}: يشتري عبداً من كافر فيرشده ثم يطلقه أو يشتري عبداً من مؤمن ويطلقه، وهذه بهذا الزمان تكلف مبلغاً كبيراً. {**..مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا..**}: قبل أن يقربها، تربية لكل من المرأة والرجل. {**..ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ..**}: رحمة بكم ولخيركم وسعادتكم. {**..وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}: خبير بكم وبما يناسبكم لذلك أنزل لكم هذا الحد والحكم، لئلا تمنعكم هذه المخالفة من الإقبال عليه سبحانه.

٤ـ

{**فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ..**} يصوم شهرين متتابعين دون انقطاع، لكن قد يمرض هذا الصائم فما الحكم؟. إذا مرض يكمل بعد شفائه مباشرة لأن المرض يسوقه الله. أما إذا أفطر بلا مرض فعليه إعادة صيامه من جديد. {**..مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا..**}: أن يقربها وتعود العلاقة النفسية. {**..فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا..**}: يطعمهم ثلاث مرات في يوم واحد. {**..ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..**}: لو كان ذلك الرجل مؤمناً حقاً لما فعل ذلك. معنى هذا أنه كافر، كفر حين قال هذا. {**..وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ..**}: ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه. {**..وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}: والذي يقترف مثل ذلك ولا يؤدِّي الحدَّ فإنه يُعرض عن ربه وله عذاب أليم. فلمَ هذا التشديد؟. وما السبب؟.

كانوا بالسابق أهل صدق، إذا قالوا كلمة لا يتراجعون عنها ويقرنون القول بالفعل، وإذا فعل ونفَّذ ما قاله وما أصرَّ عليه من المظاهرة عندها سوف تقع زوجته بالفاحشة والزنا، وإن كان هذا ليس بمقدورها فإنها سوف تقع بالفواحش مع شياطين الجن، وبهذا الفعل الفاحش سواء كان ظاهراً أم باطناً تدمير للمرأة والمجتمع، وذلك شيء كبير عند الله لا يرضاه لها ولا لعباده، لذلك سيكون لهذا الزوج عذاب أليم إن لم يتُب ويتراجع عما قال مطبقاً الحد الذي أمره الله به. من هذه الآيات نستشهد بأن من أراد أن يطلّق امرأته ولفظ بالكلمة ثم رأى نفسه مخطئاً يجب عليه أن يكفِّر عن خطيئته بإحدى هذه الحدود الثلاثة، أما إذا كان هناك سبب عظيم الخطر فإنه ينتظر على امرأته أن تحيض ثلاثاً وفي الطهور له أن يرسلها إلى بيت أبيها بعد أن يجتمع الحكمان من كلا الطرفين للنظر في الإصلاح بينهما.

٥ـ

{**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا..**}: الذين لا يعملون بما أمر الله ورسوله فإنه يكبت في نفسه فيعرض عن ربه. {**..كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ..**}: اليهود وغيرهم حين عصوا رسلهم. {**..وَقَدْ أَنْزَلْنَا آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ..**}: آيات ظاهرة دالَّة على الخير والسعادة لكم، طبقوها. {**..وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**}: شديد ومُذِل دنيا وآخرة.

٦ـ

{**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا..**}: يوم القيامة يبعث الله اليهود ومن عمل عملهم. {**..فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا..**}: يظهر عملهم أمامهم وأمام الخلائق كلها فيخجلون مما عملوا. {**..أَحْصَاهُ اللَّهُ..**}: كتبه الله وعدَّه. {**..وَنَسُوهُ..**}: نسوا ما قدمت أيديهم من الأفعال السيئة، أهوال القبر وعذابه وموقفهم في الآخرة أنساهم عملهم. {**..وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ..**}: من عملك أيها الإنسان. {**..شَهِيدٌ**}: محفوظ عنده تعالى، فهو رقيب عليك.

٧ـ

{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..**}: أما يجب عليك أيها الإنسان أن تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض؟! ألست ترى أيها الإنسان الكون وما فيه، ألا يدلّ ما في هذا الكون من تنظيم وترتيب على أن خالقه يعلم بما يجري فيه! {**..مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ..**}: حتى ما يكون من حديث بين ثلاثة. {**..إِلَّا هُوَ..**}: سبحانه. {**..رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ..**}: وهو معكم أينما كنتم، الله سبحانه معك أيها الإنسان بقلبك وعينك ولسانك وهو الممدّ والمربي لكل عضو منك. {**..أَيْنَ مَا كَانُوا..**}: الإمداد منه تعالى فلا يخفى عليه شيء. النجوى أن يبوح الرجل بأسراره لشخص آخر تتشابه صفاته معه. {**..ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..**}: يكشف لكم أعمالكم السيئة، فما حالكم ساعتها حين تشاهدون فضله سبحانه عليكم وما قابلكم به من حنان وعطف وكيف قابلتم هذا الفضل والإحسان بالنكران! {**..إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}: عليم بكل ما يجري في هذا الكون لا يعزُب عن علمه شيء.

٨ـ

{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى..**}: أولئك المنافقون الذين يتهامسون فيما بينهم على المؤمنين، النجوى: الكلام بمنجاةٍ عن سماع الآخرين. {**..ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ..**}: يرمون المؤمنين كذباً. {**..وَالْعُدْوَانِ..**}: والتعدي. {**..وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ..**}: ينتقدون أقواله ﷺ وأعماله ويخالفونه بعد الخروج من مجلسه. {**..وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ..**}: لا يعرفون قدره ﷺ وما في قلبه من أنوار وحياة، يقولون له يا محمد، اعتبروا أنفسهم زملاء للرسول وصاروا يُظهرون أنفسهم أمامه ويتكلمون عن أعمالهم ويتباهون ويفخرون بها، وهو ﷺ يسمع لهم ويصبر عليهم ويرحمهم ويتحمل منهم الشيء الكثير حتى لا يتركوا مجلسه ويذهبوا للكفر، هؤلاء المنافقون أخذوا يقولون ويظهرون شيئاً ويخفون غير ذلك. {**..وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ..**}: يستهترون ويقولون لِمَ لا يعذِّبنا الله، أين ما يَعِد من العذاب للمعرض، هلَّا أصابنا هذا العذاب جزاءً على كذبنا على رسوله؟ إذن: هم يظنون أن الرسول لا يعرف كذبهم. {**..حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ..**}: الذل والحقارة عليهم. بسبب هذا: {**..يَصْلَوْنَهَا..**}: سوف يصلون النار يوم القيامة. {**..فَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}: ساء ذلك المصير، غداً سيعود عليهم عملهم بالسوء دنيا وبرزخ وآخرة.

٩ -

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ..**}: بقول السوء. {**..وَالْعُدْوَانِ..**}: التحدث عن الآخرين بما يسوؤهم. {**..وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ..**}: بأمر يخالف رسول الله. {**..وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى..**}: تكلموا بالشيء الذي يدلُّكم على التقوى وفعل المعروف. {**..وَاتَّقُوا اللَّهَ..**}: لتؤمنوا بالله ويصبح لكم نورٌ تنظرون وتشاهدون به الخير من الشر والحق من الباطل فلا تقعون بعدها بإثم. {**..الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**}: غداً يوم القيامة.

١٠ -

{**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ..**}: هذه الأقوال التي يقولها المنافقون هي من الشيطان. {**..لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا..**}: وليس فيها أذى، إلا أن المؤمن يحزن ويتألم منها. {**..إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**}: المؤمن دائماً توكُّله على الله لأنه يعلم أن لا فعل لسواه سبحانه.

١١ -

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ..**}: تقاربوا ليجلس القادم. {**..فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ..**}: يفتح لكم فتوح كبير، فالإيثار الذي يؤثرون به نتائجه خير عظيم والله لا يضيِّع لكم ذلك، التضحيات ترقي الإنسان. {**..وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا..**}: إذا قال لكم رسول الله ﷺ تفرَّقوا فأطيعوا. {**..يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..**}: على المرء أن يكون عالماً أو متعلماً. {**..وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}: سوف يعطيكم الخير الكثير على ما تقدِّمون من أعمال.

١٢ -

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ..**}: إذا أتيتموه في أمر في مجلس خاص. {**..فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً..**}: فأظهروا ما يبيِّن صدقكم معه وإخلاصكم. {**..ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ..**}: ما أدلكم عليه هذا يأتيكم بالخير. {**..وَأَطْهَرُ..**}: ويطهر نفوسكم، إنَّ المؤمن إذا قدَّم شيئاً إلى رسول الله ﷺ أو إلى الشيخ مهما كان ذلك الشيء، هدية أو كلاماً طيباً أو عهداً فإن ذلك يقرِّبه إليه ويجعله يرتبط معه فيدخل السرور على قلبه وتقبل نفسه على الله بما قدَّم في سبيل الله، ويكون مجلسه أمام رسول الله ﷺ أكثر حبوراً وانطلاقاً وصفاءً. {**..فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}: شافٍ لكم، لأنه سبحانه رحيم يريد شفاءكم.

١٣ -

{**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ..**}: هل كثر عندكم أن تقدِّموا شيئاً لرسول الله فيه الخير لكم والطهارة لقلوبكم. {**..فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا..**}: خشيتم واستصعبتم. {**..وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ..**}: بعد نزول الآية طبّقوا. إن الله يتوب ويرجع بالخير على كل من تاب من عباده ورجع عن خطئه. {**..فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ**

وَرَسُولَهُ..}: فمن أقام الصلاة طهرت نفسه وزكت، ومن زكت نفسه أطاع الله ورسوله. {**..وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}: سوف يعطيكم عطاءً عظيماً على ما ستقدمونه من أعمال صالحة، خبَّأ لكم خيراً كبيراً إن آمنتم وصارت لكم الصلاة به سبحانه.

هذه الآية وحوادثها نزلت في المدينة حيث رسول الله ﷺ هو السلطان وبيده خزينة الدولة يتصرف بها كيف يشاء، المؤمنون يتمنون تقديم أرواحهم للرسول لكنهم استصعبوا هذا الأمر، كرجل ذهب إلى ملك البلاد يحمل بيده هدية بسيطة "كيلو موز"، فكم يجد "الرجل" ذلك الأمر صعباً على نفسه، لكن هم لا يعرفون هذا القانون من أن الإنسان إذا قدَّم شيئاً لرسول الله ﷺ فعند مناجاته تسري نفسه للرسول وتكون هذه الهدية سبباً للصحبة النفسية. لذلك أنزل الله تعالى هذه الآية عليهم وذلك حين حدث هذا الخجل والخشية بنفوسهم، فمعنى أأشفقتم أي أنهم يريدون ويحبون ذلك الأمر لكنهم يخافون ويستصعبون القيام به.

١٤ـ

{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا..**}: سايروهم وصاحبوهم. {**..غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ..**}: وهم اليهود. {**..مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ..**}: المنافقون ليسوا من المؤمنين ولا من اليهود. {**..وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ..**}: يحلفون أنهم محبُّون ومخلصون لكم. {**..وَهُمْ يَعْلَمُونَ**}: كذبهم.

١٥ـ

{**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا..**}: لرحمته تعالى بهم لا يتركهم ينبّههم بما يرسل لهم من مصائب وأمراض وضيق وهم. {**..إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}: المؤمن يعامل الخلق كلهم بالإحسان لكن لا يدنّس قلبه بحب من كفر، حبّه فقط لله والرسول، هؤلاء ظهر نفاقهم لـمّا صاحبوا اليهود وأحبُّوهم وبهذه الصحبة والمحبّة ساءت أعمالهم.

١٦ـ

{**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً..**}: ستراً لما في نفوسهم، وما قاموا به من أعمال بالسابق عند اندفاعهم الأول اتخذوها ستاراً لهم. {**..فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..**}: صدّوا أنفسهم عن الله والإقبال عليه، ومن رحمة الله لا يتركهم لقابليتهم الكبيرة لذا: {**..فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**}: فيه ذل وإهانة لهم لعلّهم يرجعون، وهؤلاء ما داموا مصرِّين على سلوكيتهم المنحرفة:

١٧ـ

{**لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا..**}: لا يردُّون عنهم شيئاً غداً مما سيصيبهم. {**..أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ..**}: هم صاحبوها. {**..هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}: يخلدون فيها لينسوا آلامهم وأوجاعهم وما جرَّته لهم أعمالهم من خسارة كبرى.

١٨ -

{**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا..**}: يوم القيامة. {**..فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ..**}: هل يحلفون يوم القيامة كما كانوا يحلفون كذباً لكم في الدنيا؟. هل يستطيعون بعدما ظهرت لهم الحقائق يوم القيامة أن يحلفوا لله كما يحلفون لكم الآن كذباً، هل يستطيعون فعل هذا غداً بعدما ظهرت الحقائق وظهروا للخلائق كافّة؟ {**..وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ..**}: هؤلاء منافقون لهم مسالك سابقة بالإيمان مع الرسول ﷺ، فهم في بداية أمرهم ساروا بقوة مع رسول الله ﷺ وصار لهم أحوال وأذواق وقدَّموا أعمالاً، لذلك يحسبون أنفسهم أنهم على شيء من الإيمان، لكن بسبب عدم تطبيقهم القانون وسيرهم بطريق الإيمان ضعفوا ووصلوا إلى النفاق وتحولوا إلى الدنيا وشهواتها ولذائذها. {**..أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ**}: عندما يكونون بمجلس الرسول يلبسون ثوب الإيمان ويظهرون أمامه ﷺ بمظهر المؤمنين وعندما يخرجون من مجلسه يغيّرون والله وصفهم بــ (**كاذبون**): أي كذبوا على أنفسهم لأنهم ما آمنوا، فانقطعوا عن الصلاة، فقط حفظوا دروس رسول الله ﷺ حفظاً ولم يعقلوها، أحاديثهم جميلة ويهتمون بمظهرهم.

١٩ -

{**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ..**}: أحاط بهم وأخذ عليهم السُّبل. {**..فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ..**}: أن يذكروا فضله ونعمه وأسماءه. وهذا لا يكون إلا من خلال التفكير بالكون، وهؤلاء ما فكروا لذلك ما عرفوا فضل الله عليهم. {**..أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ..**}: دائماً وليّهم الشيطان يسيّرهم. {**..أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**}: ما أعدَّ الله لهم من فضل وجنات دنيا وآخرة.

٢٠ -

{**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ**}: لهم الذّل والحقارة.

٢١ -

{**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي..**}: هذا قانون، النصر دائماً لله وللرسول. {**..إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**}: لا يعجزه شيء، سبحانه وتعالى أمره نافذ وفعله.

٢٢ -

{**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ..**}: هذا لا يكون، المؤمنون لا يفعلون هذا. {**..يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..**}: يحبونهم ويصاحبونهم. {**..وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ..**}: آمنوا بالله. صاروا كاملين ولا يحبون إلا أهل الكمال والفضيلة. {**..وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ..**}: أنزل بقلوبهم الحياة والنور. {**..وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ**

عَنْهُمْ..}: بما عملوا من الصالحات. {**..وَرَضُوا عَنْهُ..**}: بما أعطاهم من الخيرات. {**..أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}: دنيا وآخرة لهم الخيرات.

والحمد لله رب العالمين

تأويل سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ

{**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..**}: كلها بالأصل نفوس مجردة تتطلب الحياة ودوام الوجود والإمداد بالسير، والغذاء والبقاء والنماء والنور والضياء من الحي القيوم. الحي: منبع كل حياة، القيوم: من تقوم الكائنات به فلا حياة ولا قيام ولاو وجود إلا منه وبه تعالى، فهو خالقها ومانحها وممدها ومسيرها والقائم عليها بما تحتاج وما لزمها، وكل ما في السموات والأرض مسيّر بقوة الله وللإنسان الاختيار فقط. {**..وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}: يعطي كلاً حقه وما يناسبه.

مثال كيف أن الله بيده تسيير كل شيء:

٢ ـ

{**هُوَ..**}: سبحانه. {**..الَّذِي أَخْرَجَ..**}: أي أن الله سبحانه وتعالى قد بيَّن للمؤمنين أن ذلك النصر كله قد حصل بإرادة من الله وليس للمؤمنين في ذلك حول ولا قوة. {**..الَّذِينَ كَفَرُوا..**}: كفروا بمحمد ﷺ. {**..مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..**}[١]: بنو قينقاع وبنو النضير حينما أُخرجوا من المدينة. {**..مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ..**}: لأول التحام الفريقين، فأين القتال؟!. {**..مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا..**}: ما ظن المؤمنون أنهم يستطيعون إخراجهم. {**..وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ..**}: جاءهم الله من حيث لم يظنوا إذ قذف في قلوبهم الرعب. وذلك حين شاهدوا رسول الله ﷺ خافوا واستسلموا. {**..يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ..**}: حتى لا يستفيد منها المؤمنون. {**..وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ..**}: المؤمنون هدّوا الحصون "لأن الحصون للنساء"[٢]. {**..فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**}: ما لم يؤمن الإنسان ويعقل لا يستفيد شيئاً، على الإنسان أن يسمع الحق ويفكر ويطبق حتى يعقل.

---

[١] هذه حادثة بني النضير، وهي حادثة تاريخية معلومة، فقد حاول بنو النضير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والقضاء على الدعوة الإسلامية بمهدها، ولكنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نجا من كيدهم له بالقتل ورجع عليهم ومعه الصحابة الكرام، فجبَّن اليهود رغم ما عندهم منس لاح وعتاد وغنى، إذ ألقى الله في قلوبهم الرعب وأخذوا يخربون بيوتهم من أجل الهزيمة والفرار، إذ أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فقط من بيوتهم بل من الجزيرة العربية بأسرها وبقوا مدحورين ومهزومين.

[٢] صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم اتسموا بالشجاعة الكبرى والإقدام العظيم على الجهاد في سبيل الله تعالى، لذلك لم يتحصّنوا بحصن إلا حصن طاعة ومحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

٣-

{**وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ..**}: لولا إرادة الله في جلاء بني قينقاع وبني النضير. {**..لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا..**}: على يد الصحابة، لسلطكم عليهم فقتلتموهم. {**..وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**}: وكذلك في الآخرة لهم عذاب النار إن لم ينتهوا. كل هذا رحمة من الله بهم ليتوبوا ويؤمنوا، إن آمنوا صاروا بالسعادة، فيضع الله بقلوبهم كمالاً وبكمالهم يعملون الصالحات فيَسعدون ويُسعدون ويدخلون الجنات، ولهذا خلقنا الله تعالى.

٤-

{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ..**}: كل ذلك لأنهم عارضوا طريق الحق وأنكروا عليه ﷺ رسالته وحاربوه. {**..وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**}: يعقِّب الخلق، من شدة رحمته بعباده دوماً سبحانه في ملاحظة مع هذا الإنسان لا يتركه حناناً منه تعالى عليه ليرجع إلى الحق وللسعادة.

٥-

{**مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ..**}: حينما قطعتم النخل الصغار، قطعوها لأن قسماً من اليهود لم يخرجوا من حصونهم لذلك قطّعوا لهم الأشجار حتى يلحقوا بقومهم الذين خرجوا قبلهم، وفعلاً خرجوا بعد أن قطّعت أشجارهم. {**..أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا**}:لم يقطعوها.{**فَبِإِذْنِ اللَّهِ..**}: كل ذلك كان بأمر من الله وهو الفعال المسيِّر. {**..وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**}: الخارجون عن الحق يخزيهم بعملهم وفسقهم، أولئك اليهود خرجوا عن الحق فأصابهم ما أصابهم من ذل وإهانة وتهجير.

٦-

{**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ..**}: من الغنائم. {**..فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ..**}: أيها المؤمنون. {**..مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ..**}: أنتم أيها المؤمنون ما قاتلتم، النصر لم يكن بالقتال. {**..وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ..**}: وإنما كان بوجه رسول الله ﷺ، حيث ألقى الله الرعب بقلوب يهود بني قينقاع وبني النضير بما أيَّد به رسوله ﷺ من تأييد ونصر وملائكة، وسلطهم عليهم فنُصر ﷺ عليهم بالرعب لا بقتالكم أيها المؤمنون. {**..وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}: لا شيء يقف أمام إرادته، فعَّال لما يريد.

٧-

{**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ..**}: من الغنائم. {**..مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ..**}: ذلك لأن ما حصل كان من الله خالصاً إذاً فليس للأغنياء شيء. {**..كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ..**}: طبقوه بقوة لأن كلامه من الله. {**..وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا..**}: ابتعدوا عنه. {**..وَاتَّقُوا اللَّهَ..**}: انظروا بنوره لتروا حقيقة كل شيء. {**..إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**}: لا

يتركك أيها الإنسان دائماً معقبك رحمة منه عليك، إن خرجت عن الحق أرسل لك المصائب لتعود إلى الصواب.

٨-

{**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ..**}: وزَّع رسول الله ﷺ الفيء على المهاجرين في المدينة. {**..الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ..**}: مكة. {**..وَأَمْوَالِهِمْ..**}: حيث صادر أهل مكة "قريش" أموال المهاجرين وأخذوها منهم. {**..يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً..**}: ليس لهم غاية من هجرتهم مع رسول الله ﷺ إلا رضاء الله وفضله. {**..وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**}: تركوا بلادهم وأموالهم وأهلهم في سبيل الله ورسوله.

٩ -

{**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ..**}: أهل المدينة، الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين وفتحوا لهم بيوتهم وقلوبهم. {**..وَالْإِيمَانَ..**}: آمنوا بالله ورسوله، ولو كانوا غير مؤمنين ما هاجر أهل مكة إليهم. {**..مِنْ قَبْلِهِمْ..**}: آمنوا من قبل قدوم أهل مكة ومجيئهم إليهم، ولو كانوا غير مؤمنين ما استقبلوهم وفتحوا بيوتهم لهم. {**..يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ..**}: يحبون المؤمنين المهاجرين لأنهم مؤمنون مثلهم، المؤمن يحب المؤمن ويفديه بروحه وماله. {**..وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا..**}: مما أخذ المهاجرون من أموال الفيء التي وزَّعها رسول الله ﷺ عليهم، الأنصار فرحوا لهم، المؤمن لا يحسد ولا يغار من أخيه، ما قالوا إن رسول الله لم يعطنا من الغنائم. هذا لأنهم مؤمنون. {**..وَيُؤْثِرُونَ..**}: يؤثرون المهاجرين، يفضلونهم. {**..عَلَى أَنْفُسِهِمْ** }:هكذا حال المؤمنين دائماً.{**وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ..**}: ولو لم يكن لديهم إلا القليل. {**..وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ..**}: المؤمن عزيز النفس لا يطلب ولا يحسد، لا يطلب إلا من الله. {**..فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}: أفلحوا بإيمانهم وأعمالهم دنيا وآخرة، ونالوا فضلاً كبيراً من الله.

١٠ -

{**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ..**}: التابعون ومَنْ بعدهم، قال ﷺ: (**خير القرون قرني والذي يليه والذي يليه**). {**..يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ..**}: من المهاجرين والأنصار. {**..وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا..**}: حِملاً عليهم، المؤمن لا يحمل ولا يحقد على أحد لأنه يعلم أن ليس لأحد فعل إلا الله، وأن ما أصابه من سوء رحمة منه سبحانه به، فهو تنبيهٌ له ليتحوَّل عن هذا الطريق الذي سبَّب له هذا السوء. {**..رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**}: بهم وبنا.

١١ -

{**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا..**}: المنافقين. {**..يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..**}: اليهود. {**..لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ..**}: إن أخرجكم محمد من دياركم. {**..لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا..**}: لا نطيع أمر رسول الله فيكم. {**..وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ..**}:

نكون معكم بالقتال. نقاتل محمداً وأصحابه. {**..وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**}: بهذا القول وهذا الوعد.

١٢ـ

{**لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ..**}: وهذا الذي حدث. {**..وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ..**}: يهربون لأنهم جبناء، بسبب أعمالهم الخبيثة. المؤمن عمله عالٍ لا يخاف ولا يهاب أحداً إلا الله. {**..ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ**}: فلا يؤمنون بعدها، إن من يترك رسول الله ﷺ أو الشيخ ثم يتقوَّل عليهما ويحكي السوء في مجتمعات يقصدهما فإنه لا يستطيع بعدها أن يصاحبهما لما بدر منه، فهو خجول معرض وهكذا كان حال المنافقين، فإنهم بعد أن نصروا اليهود عقَّد الكفر في نفوسهم فأعرضوا ثم لا يؤمنون بعدها أبداً.

١٣ـ

{**لَأَنْتُمْ..**}: أيها المؤمنون ويا رسول الله. {**..أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ..**}: يخافون من المؤمنين أكثر مما يخافون من الله. {**..ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**}: لا يعرفون شيئاً عن الله وقدرته وقوته، ما فكروا فما آمنوا ليروا التسيير والقوة من الله فأشركوا وكفروا. إشراكهم وكفرهم جعلهم يرون أن لغير الله فعلاً ولو آمنوا بالله إيماناً شهودياً حقيقياً لشاهدوا يد الله قائمة على الجميع فلا يخافون إلا منه سبحانه وتعالى.

١٤ـ

{**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ..**}: اليهود جبناء. {**..بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ..**}: هم متفرقون فيما بينهم، قساة لا رحمة بقلوبهم على بعضهم البعض حين القتال. {**..تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا..**}: الناظر إليهم يظنهم مجتمعين على قلب واحد والحقيقة لا تجمعهم إلا المصالح الدنيوية، فإن انتهت وزالت المصالح عادوا وقاتلوا بعضهم البعض. {**..وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى..**}: تظنُّهم مجتمعين ولكنهم متفرّقون. {**..ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**}: ما عقلوا كلمة لا إله إلا الله، ما شاهدوا الآخرة وما أعد الله تعالى لهم فيها لذلك يختلفون على الدنيا، فهي أكبر همهم، ويقاتلون من أجلها لا في سبيل الله والآخرة.

١٥ـ

{**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ..**}: آباؤهم وأجدادهم. {**..قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ..**}: والآن اليهود ستعود عليهم أعمالهم بالهلاك. {**..وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}: غداً يوم القيامة، حيث سيتألمون كثيراً على ما قدَّموه من أعمال خبيثة وما نشروه من فساد أفسدوا به قلوب الناس، فيتألمون على هذا ويندمون ويرمون بأنفسهم في النار.

-١٦

المنافقون دائماً مع الشيطان، والشيطان يسوقهم لما يريد من الخبائث ويتكلم بلسانهم. المنافقون جمعوا اليهود وورطوهم بالحرب مع رسول الله ووعدوهم بالمساندة والقتال معهم، لكن حين القتال تراجعوا عن كلامهم ووعودهم، كمثل الشيطان حين يوسوس للإنسان بالكفر ثم حين يكفر يتخلى عنه ويقول إني أخاف الله رب العالمين، حفظ هذه الكلمة ويرددها. والآن الناس يسيرون بالفساد ويقعون بالفواحش ويأكلون الربا ثم يصلون ويقولون نخاف الله رب العالمين، قولهم هذا كقول الشيطان.

-١٧

{**فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ..**}: كلاهما المنافقون واليهود وكل من سار بسيرهم. {**..خَالِدَيْنِ فِيهَا..**}: يخلدون إلى النار حين يشاهدون خبث أعمالهم، يطلبون النار ويدخلون فيها ليتحولوا عن آلامهم وخسارتهم وندمهم وخجلهم أمام ربهم وعارهم. {**..وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**}: هم ظلموا أنفسهم وذلك بعدم إيمانهم وأعمالهم السيئة فعادت عليهم بالنار وسوء المصير. الله أرسل لهم رسولاً وكتاباً، وخلق هذا الكون لهم ودعاهم للإيمان، هم ما آمنوا. لم يظلمهم الله ولكن هم ظلموا أنفسهم.

-١٨

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ..**}: أقبلوا على الله لتروا بنور الله. باليقين بالموت يشاهد الآخرة فيعمل لها: {**..وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ..**}: ماذا أعدَّت لآخرتها. {**..وَاتَّقُوا اللَّهَ..**}: حتى يرى كل حركة بيد الله، وحيثما التفت يرى الله معه. {**..إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}: نيتك وعملك الله سبحانه خبير بهما.

-١٩

{**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ..**}: فإن المعصية تتلوها المعصية فينسى العاصي أن الله رقيب عليه. {**..فَأَنْسَاهُمْ..**}: نسيانهم هذا أنساهم أنفسهم عندها أنساهم الشيطان. {**..أَنْفُسَهُمْ..**}: أنساهم الشيطان الالتفات لأنفسهم ومراقبتها والحال التي هي فيها ليخلصها منها. توعَّد لهم بهذا وفعل لكن على مستحقِّين أمثاله. {**..أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**}: العاصي خرج عن طريق الحق وبخروجه هذا خرج عن السعادة وما أعده الله له من الفضل والإحسان.

-٢٠

{**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ..**}: لا يستوون عند الله ورسوله. {**..أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**}: بالجنة ومشاهدة وجه الله الكريم.

- ٢١

{**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ..**}: وجعلنا لهذا الجبل فكراً. {**..لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا..**}: لتصدَّع وتشقَّق. {**..مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**}: فكيف بالإنسان أفلا يجب عليه أن يتفكَّر ليصل إلى الإيمان بالله ويخشع قلبه.

وحادثة التصدع هذه حدثت مادياً ومعنوياً بزمن سيدنا موسى عليه السلام فاندكَّ الجبل وتصدَّع وكذلك سيدنا موسى أُغمي عليه، وحدث هذا أيضاً مع سيد الخلق رسول الله ﷺ فكان أول العهد عندما يتنزَّل عليه القرآن يتأثر تأثُّراً كبيراً حين نزول الوحي.

- ٢٢

{**هُوَ اللَّهُ..**}: رسول الله ﷺ هو الذي يقول لك هذا ويدلّك عليه سبحانه وذلك بما يتلوه عليك بالصلاة، فوظيفته ﷺ أن يعيد عليك أيها المؤمن ما شهده هو صلى الله عليه وسلم من أسماء ربه الحسنى، فترى نفسك بنوره ما يتلوه عليها، عندها تشاهد نفسك أيها المؤمن أسماءه تعالى الحسنى، إذن رسول الله ﷺ يأخذ بنفسك إلى الله ويدخلها عليه سبحانه فترى كماله وتنصبغ به.

ولكن ما معنى لفظ الجلالة الله؟. هذا الاسم هو اسم الله الأعظم واسم الذات العلية، فهو جامع الأسماء الحسنى كلها، وبمعيته صلى الله عليه وسلم ترى أيها المؤمن هذا الاسم الأعظم، فإن رأيته ورأيت ما آل إليه سبحانه من الفضل والإكرام، رأيت حبَّه العظيم لك ورحمته وحنانه سبحانه عليك عندها تُملّك نفسك له جلَّ وعلا، فتقبل عليه وترى جماله وكماله وتتولَّه نفسك حباً به وعشقاً وهياماً، فلا تنفك عنه طرفة عين لأنك صرت ترى أن كل جمال الخلائق هي ذرة من جماله تعالى وأن كل لذائذ المآكل والمطاعم والمشارب إنما هي منه سبحانه، فهو الذي أتى بها وألبسها هذا الجمال وأمدَّها ويمدّها. والله سبحانه وتعالى خلقنا لأجل هذا، لمعرفته وشهود أسمائه الحسنى وكسب الكمال منه، عندها نعمل صالحاً وندخل الجنات، ولن تصل النفس لهذه المراتب إلا بالإيمان به تعالى والإقبال عليه وذلك بمعية رسوله الكريم ﷺ. {**..الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..**}: بالإيمان بالله والإقبال عليه ترى أيها المؤمن أن لا مسيِّر ولا متصرِّف في هذا الكون إلا هو سبحانه. فهذه الكرة الأرضية التي تدور في هذا الكون والشمس والقمر والرياح والغيوم ما كانت لتسير وتتحرك إلا به وبإمداده سبحانه، وهو الذي يخرج من الأرض النبات والأشجار والأثمار لتأكل منها، فهو الذي يطعمك ويسقيك ويربيك ويجعلك تتذوق ما فيها من لذائذ ويحرِّك ويسيِّر لك أعضاء جسمك كله لتهضم هذه الأطعمة وتتغذى بها، هذا الشيء من خلق وتسيير وإمداد ألا يدل على أنه سبحانه المسيِّر المتصرِّف المطاع في كل شيء، وأنه تعالى هو الحاكم وحده في هذا الكون وأن لا فعل لأحد غيره أبداً، وتسييره ليس فقط للكون بل لأجلك، لأجل حياتك وتأمين متطلبات معيشتك، وكذلك يشمل تسييره الإنسان ذاته لكن على حسب ما اختار وأصرَّ عليه، فيد الله سبحانه عليه تسيِّره على حسب ما بنفسه ضمن قوانين، فلا يستطيع هذا الإنسان تجاوزها لئلا يحدث ظلماً بهذا الكون، فإن

أراد السرقة مثلاً فلا يمكِّنه الله إلا من شخص سارق كان قد سرق من قبل فرجع عليه عمله، وإن أراد الفاحشة والرذيلة بامرأة فلا يمكِّنه الله من امرأة مؤمنة طاهرة النفس لا تبغي الرذيلة بل يسيِّره لامرأة مثله طالبة للفجور وللفاحشة فيزني بها، كذلك لا يمكِّنه من قتل رجل ليس بمستحقٍ للقتل وإنما يسيِّره لرجل استحق بأعماله المنحرفة القتل، لذلك فلا ظلم بهذا الكون لأنه سبحانه هو الحاكم المسير ويده على الكل بالتسيير، فالذي تقع عليه المصيبة سبق وأن صدر منه عمل استحق عليه العقوبة لذلك يُرجع الله عليه عمله لقوله تعالى: (**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**) *سورة الأنعام: الآية (١٢٩)*، كذلك الله سبحانه يسيِّر المحسن إلى رجل محسن كان قد قام بالإحسان لغيره فاستحقَّ الإحسان. {**..عَالِمُ الْغَيْبِ..**}: أي مالم يأتِ بعد عليم به سبحانه. وأنت أيها الإنسان إن آمنت بالله وأقبلت عليه بمعية رسوله ﷺ صار لك نورٌ منه سبحانه وتعالى، وبنوره يشهدك ويطلعك على المغيبات، فترى ما مضى وما سيأتي مما لم يحدث بعد، ترى عالم الأزل لـمّا كنت فيه، فتشاهد عهدك الذي قطعته على نفسك مع الله بألا تنقطع عنه تعالى طرفة عين، وترى يوم القيامة والآخرة وما أعدَّ الله لخلقه فيها من جنات للمؤمنين ونارٍ للكافرين، فكل شيء عنده سبحانه مذكورٌ ومسطر بكتابه (**..مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**) *سورة الأنعام: الآية (٣٨)*، فإن اتقيت أيها المؤمن تراه وتسمعه فالغيب محفوظ عنده تعالى سمعي وبصري، وهو القائل في حديثه القدسي: (**عبدي اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء**). ولن يصل مؤمن لهذا إلا بمعية رسول الله ﷺ حيث تتفتح بصيرة هذا المؤمن بنوره ﷺ وبنور الله فتشاهد نفسه الحقائق، أي: تشاهد حقيقة ما بعد هذه الدنيا وتشاهد مصيرها ومصير غيرها، فالمؤمن يطلعه الله على كل ما سيحدث له في القبر وفي اليوم الآخر، وبذلك يصبح عالماً للغيب بما أعلمه الله به من حقائق يراها هو ولا يراها غيره من الذين أعرضوا عن ربهم. {**..وَالشَّهَادَةِ..**}: ما هو حاصل الآن في الدنيا من أحداث كذلك يعلمك الله بها. فالإنسان بدون إيمان وتقوى ونور من ربه لا يستطيع أن يرى ما يجري من أحداث على هذه الأرض، لكن إن آمن واتقى صار له نور من الله، وبهذا النور يشهدك ربك ما يجري ويحصل في هذه الدنيا، الصحب الكرام وصلوا لهذا المقام العالي وهذه الدرجة الرفيعة، فسيدنا عمر رضي الله عنه شاهد ما يجري بمعركة في بلاد فارس وحذَّر قائد الجيش الإسلامي "سارية" من كمين كان سيقع به قائلاً ومنبهاً له: يا سارية الجبل الجبل. فسمعه قائد الجيش "سارية" وأخذ حذره وبهذا خلص من مأزق كان سيقع به هو والجيش وكان النصر لهم. فالله تعالى خلق الإنسان وأوجده ليمنحه هذه المنزلة العالية والرتبة الرفيعة وليفيض عليه من عطاءاته وجناته الكبرى.

{..هُوَ الرَّحْمَنُ..}: بفضله على الخلائق جميعاً، وهذا الاسم أوسع معنىً من اسم الله الرحيم، ومعناه أن الله سبحانه هو المتفضِّل بالشفاء والغفران على جميع مخلوقاته، وذلك بالشدائد التي يسوقها لهذا الإنسان رحمة به وحناناً عليه ليخرجه بها من العمى والضلال إلى الإيمان به والاستنارة بنوره الدائم فيدخل الجنات والسعادة، الله سبحانه وتعالى ما

كتب على أحد من خلقه إلا الخير والسعادة والجنات لكن هم بإعراضهم عنه سبحانه وعدم الطاعة والسير بأوامره أشقوا أنفسهم وأوقعوها بالهلاك والإجرام، فحدثت الحروب وانتشر القتل والجوع والفقر والفساد، ولو أنهم ساروا بأمره سبحانه ومشيئته لما وقعوا بهذا: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)** *سورة الأعراف: الآية (٩٦)*، والله يقول. {**..وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**} *سورة البقرة: الآية (٢٥٣)*، أي لو ساروا بمشيئة الله فآمنوا بربهم لنالوا منه تعالى كمالاً وطبع الله بقلوبهم الرحمة والحنان فما حدث قتال، فهذه الحروب وما فيها من آلام وإجرام هذه مشيئتهم فهم الذين شاءوا هذا وسطروه على أنفسهم لذلك كتبه الله عليهم.

ولكن لِمَ سمح الله بالقتال؟.

بما أن القتال فيه خير للمؤمن والكافر على السواء لذلك سمح تعالى به، فالمؤمن بتضحيته بروحه وحياته يدخله الله الجنة، ولولا هذه التضحية ما دخلها، والكافر بهذه الحرب إما أن يتوب ويدخل الجنة، أو يستمر بغيّه فبقتله تتوقف شروره وأعماله الإجرامية، وبهذا تخفيف له من حسراته وندامته في الآخرة، وبذلك يصبح له أمل بدخول الجنة، فالله سبحانه يحوّل الشرور التي أصرَّ الناس عليها للخير والنجاة، وما حقيقة هذه الشدائد إلا رحمة من الله سبحانه على خلقه ليوصلهم تعالى لاسمه الرحيم وليدخلهم الجنة وينالوا السعادة.

فما معنى اسم الله الرحيم؟.

{**..الرَّحِيمُ**}: بذاته. فالشدائد من الله من قتال ومرض وفقر وإهانة هي في حقيقتها رحمة لتشد الإنسان إلى الإيمان بربه وليدخل الجنة، فهي تقرِّب النفس المعرضة عنه سبحانه فتجعلها قريبة منه ومن الإيمان به وذلك بالالتجاء إليه سبحانه وتعالى ليرفع عنها الشدة فيصبح طريق الإيمان سهلاً عليها، فإن آمن الناس بالله بعد هذه الشدائد وأقبلوا عليه سبحانه شفى الله لهم أنفسهم من عللها، عندها يرفع الله عنهم الشدة حيث لم يبقَ هناك داع لها وينقلهم لاسمه تعالى الرحيم ويتجلَّى به عليهم، وهذا الاسم خاص بأهل الطاعة من المؤمنين، أهل التقوى فلا مكروه يصيبهم ولا شيء يحزنهم أو يؤلمهم، فهم في الدنيا بالسعادة والجنات والإكرام وبالآخرة كذلك.

- ٢٣

{**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..**}: وهذا التكرار بألفاظ الآيات الكريمة يدلُّ على مرحلة جديدة عالية وصل المؤمن إليها غير التي سبقتها، ففي الآية السابقة نقل رسول الله ﷺ نفس المؤمن من شهود اسم الله الرحمن إلى شهود اسمه تعالى الرحيم وبهذه الآية ينقله ﷺ إلى مرحلة أعلى، ينقله إلى شهود اسم الله تعالى الملك. فما معنى هذا الاسم؟.

{**..الْمَلِكُ..**}:أي مالك الكون كله ومالك جسمك أيها الإنسان، وبرؤية المؤمن لهذا الاسم وما فيه من رحمة الله تعالى به وحنانه عليه وعلى الخلائق كلها يسلّم نفسه لله ويملِّكها له

سبحانه فيغدو مطيعاً له في كل أمر، لأنه يرى أن الله هو الذي ملَّكه هذا الجسم وأنه سبحانه المسيطر عليه كله بما فيه من دماء و أجهزة وحواس ويمتد ذلك ليشمل كل خلية فيه، فهو سبحانه يمدها ويغذيها ويربيها. ويرى هذا المؤمن فضل الله عليه بنعمة اللسان وكيف يتذوَّق به اللذائذ، ولولاه ما ذاق ولا أحس بطعم طعام وشراب، ويرى كيف ملَّكه العينين ينظر بهما وهو سبحانه وتعالى يصوِّر له كل ما يقع تحتهما ولولاهما لكان أعمى. فجسمك أيها الإنسان كله ملك لله سبحانه، هو المالك له بالإمداد والتربية، وهو سبحانه يمدّ كل خلية من خلايا جسمك، ملَّكك جسمك لتعمل به الخير والمعروف والإحسان فتنال الجنات، وعلى أنه سبحانه وتعالى مالك لجسمك لكنه ترك لك حرية الاختيار والتصرف به وبما تشاء ولا يتدخَّل باختيارك.

كل هذا يراه المؤمن بإيمانه بالله وبمعية رسوله ﷺ، وبرؤية المؤمن لهذا الفضل الإلّهي تذوب نفسه حباً بالله وعشقاً لأنه تعالى سخر له هذه النفوس نفوس جسمه ووهبه إياها وجعلها تحت إمرته، فانظر أيها الإنسان لفضل الله عليك بهذه النعمة، ولن ترى فضله هذا ونعمته عليك إلا بالإيمان به وذلك بالتفكير الجاد للوصول إلى هذا الإيمان اليقيني.

إن الإيمان من خلال التفكير بهذا الجانب إيمان عالٍ جداً حيث يصبح للإنسان حبٌ كبيرٌ لله وعشقٌ له على ما تفضل به عليه من إنعامات، إذ جبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

{..الْقُدُّوسُ..}: أي وحده تعالى يطهِّر الأنفس ويقدِّسها إن هي أقبلت عليه وذلك بتجلِّيه عليها بأنواره القدسية فتطهر مما حلَّ بها من علل وأمراض وتخلص من الصفات الذميمة من بخل وقسوة وطمع، فأسماؤه تعالى كلها حسنى لا إساءة فيها، والنعيم والسعادة والجنات بها، وكل ما يجده الإنسان من مكروه يكرهه فهو ليس منه سبحانه وإنما من كفر الإنسان ذاته وإعراضه عن خالقه، وسيره الخاطئ بغير دلالة الله وانقطاعه عنه تعالى، فالكمالات كلها من الله، والنقائص من الإنسان ذاته، حلَّت بنفسه لـمّا ترك ربَّه وتوجَّه لغيره فاكتسب هذه النقائص من بخل وقسوة وانحطاط وخيانة. وحين الموت ترجع النفس لفطرة الكمال التي فطرها الله عليها وترى سيئات أعمالها وبشاعة ما قامت به فتحترق ألماً وندامة، وكذلك في الآخرة ترى أعمالها لكن بالمثاقيل، ترى نتائج أعمالها السيئة رؤية أوسع مما رأته في القبر فتزداد ألماً وندامة وتزداد نيرانها الجهنمية عندها لا يطفئ لها هذه النار ويحوِّلها عنها إلا نار الله الموقدة، فتطلبها لتنسى وتتحول عمَّا بها من آلام جهنمية لا تطاق. فإن آمن الإنسان بربه وصلَّى الصلاة الصحيحة خلص من كل ذلك ودخل بالسعادة والجنات.

بالبداية تحصل للمؤمن أحوال نفسية عالية نتيجة القرب من الله، وهذه الأحوال تكون حافزاً ودافعاً للمؤمن ليسعى أكثر ولينال أكبر مما نال، فيسعى بقوة وعلى حسب سعيه تتتالى عليه هذه الأحوال. أذواقٌ يتذوقها بنفسه فيشعر بالنعيم والسعادة، وهذه ما كان ليصل إليها المؤمن لولا سلوكه طريق الحق مع رسول الله ﷺ، تلك الأذواق تجعل المؤمن يسعى أكثر بطريق الإيمان لينال من الله أكثر فتشتاق نفسه لرؤية الله، وبدوام

صدقه ينال مشاهدات من ربه ينفتن بها فتتلوها صلاة دائمية، وكل هذا لا يكون ولا يصل المؤمن إليه إلا بمعية الرسل والأنبياء، عندها يمحي الله من نفس هذا المؤمن ما حلَّ بها من ظلمات وصفات سيئة كانت تسيئه وتشقيه، ويبدله بدل ظلماته نوراً، وبدل نقائصه كمالاً، وبدل شقائه سعادة ونعيماً. فاسم الله القدُّوس يعني أن الله سبحانه هو ينبوع الخير المطلق ومنه الطهارة النفسية ومنه شفاء الأنفس وغفرانها ودخولها الجنات. وبعد شهود المؤمن لاسم الله القدوس ينقله رسول الله ﷺ إلى اسم الله السلام ويدخل بالأمان، فما معنى اسم الله السلام؟.

{**..السَّلاَمُ..**}: منه الأمان. والأمان بالله فقط وذلك بالإيمان به تعالى، ولا يحصل لك هذا السلام إلا بالصلاة الحقيقية، المؤمن ما لم يخطئ يعِش دائماً بهذا الاسم دنيا وبرزخ وآخرة حيث فيه وقاء نفسه من الشقاء والآلام والنيران وكسب للجنات، لذلك دائماً يسعى للقرب من الله بما يقدِّمه من أعمالٍ صالحةٍ عالية يرقى بها رقياً كبيراً عند الله، وبذلك يسلِّمه تعالى ويحميه ويقيه من كل مكروه وضرر، فليس لأحد عليه من سلطان مهما كانت رتبته ما لم يخطئ.

فكل أذى وضرر وشر يصيب الإنسان هو ليس من الله وإنما من الإنسان ذاته، فهذه الحروب وهذه الإجرامات من قتل وتعذيب وخراب وكل ما نراه اليوم من شقاء وآلام هو من سير الناس ذاتهم، سيرهم المنحرف عن الحق أوصلهم لهذا وهو ليس من الله، فالله سبحانه ما أخرجنا لهذا الوجود إلا ليهبنا ويعطينا بدل الجنة الواحدة جنات كثيرة متعددة متسامية {**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ..**}: *سورة الشورى: الآية (٣٠).* والحقيقة لا أمان ولا سلام إلا به سبحانه وتعالى، ولا يعرف ذلك إلا من آمن بربه إيماناً حقيقياً شهودياً لقوله تعالى: {**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ..**}: بفعل رديء، أي: لا يعملون عملاً سيئاً. {**..أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ..**} *سورة الأنعام الآية (٨٢):* في الدنيا لا يصيبهم شيء أبداً "من مكروه"، إن لم يخطئ المؤمن فلن يصيبه شيء، فإن أصابك شيء فارجع إلى نفسك.

فيا أيها الإنسان إن حلَّ بك ما لا يعجبك فاعلم أنه من سيرك الخاطئ وعملك، فارجع إلى الله بالتوبة عندها يبدله لك بالخير ويغمرك بجناته وببحورٍ من السعادة والنعيم، فهو سبحانه من أسمائه المؤمن، فما معنى اسم الله المؤمن.

{**..الْمُؤْمِنُ..**}: بذاته، أي أن الله سبحانه مؤمن بذاته من ذاته فهو لا يغير من رحمته وحنانه على الخلق جميعاً فسبحان من لا يتغيَّر، أسماؤه سبحانه كلها حسنى ومتجلٍّ بها جميعها على الخلائق ولا يغيِّر من رحمته على الإنسان. ومثالاً على ذلك: لو أن شخصاً قتل ابنك وسلب مالك ورأيته في الطريق فماذا تفعل به؟. الله سبحانه لو فعل العبد مهما فعل إن رجع إليه تائباً تاب عليه وكأنَّ شيئاً لم يكن، الكل يتغير إلا الله سبحانه وتعالى فلرحمته الذاتية لا يتغيَّر، ولهذا لا يغيِّر من رحمته على الإنسان مهما عمل. وهو في الآخرة كذلك لا يغيِّر من رحمته عليه أيضاً ولا يريد سبحانه لأحد أن يدخل النار، فهو يقول للإنسان: {**اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**} *سورة الإسراء: الآية (١٤).*

هذه الجنة وهذه النار أيهما تطلب وتريد، لكن هذا الكافر المعرض لا يختار دخول الجنة ولا يستطيع الالتفات والنظر إلى الله تعالى لأنه خجول من ربه بسبب ما قام به من أعمال إجرامية تمنعه من الإقبال عليه سبحانه وبسبب ما في نفسه من كبر وتعالٍ على ربه.

وحين يلتفت هذا المعرض لحاله ويرى ما عمل من سوء بدنياه وما خسره من جنات يندم أشدَّ الندم لذلك هو بذاته يرمي بنفسه إلى النار وذلك ليتحوَّل عن ندمه وحسرته. فاسم الله المؤمن معناه أن الله تعالى لا يعامل الإنسان إلا بأسمائه الحسنى مهما أجرم وفعل من سوء، فلقد كتب الله على نفسه الرحمة، فالنار رحمة بهذا الكافر المعرض. {**..الْمُهَيْمِنُ..**}: مسيطر على كل ما خلق، فيده سبحانه على الجميع بالإمداد والتربية والتسيير، وهو يسيِّرهم بنظام محكم وقانون ثابت لا يتبدَّل ولا يتغيَّر على مرِّ العصور وكرِّ الأجيال، فالله أمر هذه المخلوقات فائتمرت، ولا شيء يخرج عن إرادته تعالى، وهو سبحانه مهيمن عليها بما يهبها من نعيم وسرور ومسرَّات، فالكلُّ راضٍ، وبهذا العطاء ائتمر الكل بأمره تعالى، وكذلك هو سبحانه مسيِّر الإنسان ومهيمن عليه بفضله وبره وإحسانه وبما يغزوه به من نِعم، فالكل بعوز له سبحانه. {**..الْعَزِيزُ..**}: فرد، المتفرِّد بالكمال، الخالي والمبرَّأ من النقائص، فلا كامل إلا هو سبحانه، وبه كَمُلَ الكاملون، ولا يأتي الخير إلا منه سبحانه، فخيرك وعطاؤك وسعادتك أيها الإنسان فقط به سبحانه وتعالى، المخلوق يأخذ ولا يعطي فلا تلتفت للذي يأخذ وتترك المعطي المتفضل عليك. **{..الْجَبَّارُ..}:** يجبر الكسر، يجبر الإنسان الذي أعرض فاكتسب إثماً ثم أقبل عليه فشفاه الله، فالله يجبر خاطره ويغنيه من بعد فقره ويبدِّل خوفه أمناً وسلاماً وسقمه صحة ونشاطاً، فهو تعالى يُقيلُ العِثَار ويأخذ بأيدي المتوسِّلين إليه ويجبر كسرهم، ويقبل توبة التائبين ويبدلهم بالنعيم والجنات بدل الشقاء والآلام. {**..الْمُتَكَبِّرُ..**}: بفضله على خلقه، أي مهما بلغت وشاهدت من فضله ففضله أكبر وأكبر، ومهما استعظمت فهو أعظم وأعظم، وهو سبحانه دائماً بتزايدٍ وتنامٍ وتعاظمٍ على خلقه وعلى الإنسان، فما خلقهم سبحانه إلا ليهبهم ويعطيهم.

كذلك فهو سبحانه وتعالى لا يري طرفاً من أسمائه إلا لمؤمن ذي شوقٍ وعشق لتلك المشاهدات، يريه بقدر متناسب مع شوقه وعشقه لما يستطيع له تحمّلاً ويكون له مستعدّاً، أما الأنفس المعرضة عنه فلا يريها من ذلك شيئاً رحمة بها وعطفاً عليها.

{**..سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**}: هو سبحانه يسبِّح الخلائق كلها بفضله ومنزَّهٌ عما ينسبونه له من ظلمٍ وقسوةٍ، كمن يتقوَّل على الله بأنه خلق هذا للجنة وهذا للنار فما ذنب من كتب الله عليه النار بزعمهم دجلاً وكذباً ليدخل النار؟. فسبحانه منزه عن هذا كله وأسماؤه كلها حسنى.

- ٢٤

{**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ..**}: خلق وأبدع هذا الإنسان بأحسن تكوين. فهو سبحانه يخلق لك من أسمائه عوالم كثيرة فتنطبع بنفسك وتتخلَّق بها. **{..الْبَارِئُ..}:** المظهر، مظهر كل شيء بالكمال، فالإنسان يكون جنيناً في بطن أمه ثم لا يلبث أن يخرجه تعالى لهذه الحياة خلقاً كاملاً، وهذا الكون أظهره الله لك كاملاً، وكذلك أنت أيها الإنسان إن أقبلت عليه تجلَّى عليك بالكمال فيظهرك به في الآخرة أمام الخلائق كلها وتنال الجنات. {**..الْمُصَوِّرُ..**}: يصوِّر الخلق، هو سبحانه صوَّر الخلق جميعهم، فجعل هذا ذكراً وهذه أنثى، وهذا طويلاً وهذا قصيراً، ومنهم من هو أسمر ومنهم من هو أبيض اللون، وكل هذا بحسب المناسب. كذلك وكما صوَّر الأجسام يصوِّر القلوب بجماله سبحانه ويزينها بكماله وبأسمائه الحسنى كما صور الورود وجمّلها، وكما صوَّر هذا الكون بهذا الكمال. {**..لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى..**}: به تسمو وتعلو منزلتك أيها الإنسان لا بغيره. {**..يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..**}: كل ما في الكون مسيَّر بإذنه تعالى ومفتقر لفضله سبحانه. {**..وَهُوَ الْعَزِيزُ..**}: المتفرِّد بالكمال. {**..الْحَكِيمُ**}: بخلقه وما يناسبهم.

والحمد لله ربِّ العالمين

تأويل سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يريد الله تعالى في هذه السورة أن يبين للمؤمنين حال الكفار وما هم عليه من حقدٍ وعداء لهم ولرسول الله ﷺ، فقد عادوه وحاربوه وهمّوا بإخراجه وأخرجوه من مكة وظهرت العداوة والبغضاء من أفواههم وبدت بأعمالهم، فجابهوا رسول الله وعارضوه رغم رحمته ﷺ بهم ومداراته لهم، فهذه السورة بيان من الله للمؤمنين وتحذيرٌ وحثٌّ لهم على قتال المشركين وجهادهم ولو كانوا أهليهم لما في ذلك من خير للمؤمنين والمشركين.

١ ـ

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا..**}: خطاب من الله تعالى للمؤمنين حباً بهم وتحذيراً لهم وكشفاً لحقائق أهلهم وقومهم. {**..لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ..**}: هؤلاء قومكم أعداء لكم لا توالوهم ولو كانوا آباءكم وأهليكم، إياكم من موادتهم، احذروا من ذلك، هؤلاء كفار مصرّون على كفرهم وعدائهم لكم ولرسول الله، الكافر ببعده عن الله صار مع الشيطان لا يعمل إلا بأمره، ولا يخرج منه إلا كل خبث وضرر، ولا يدل إلا على الشر والأذى والكفر فلا توالوهم، هؤلاء لا خير فيهم. {**..تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ..**}: تعاملونهم بالإحسان رحمة منكم عليهم وحناناً ليؤمنوا، هؤلاء الكفار دخلوا على أبنائهم المؤمنين من باب المكر ليردُّوهم للكفر والضلال، والله سبحانه وتعالى كشف حقيقتهم وحالهم للمؤمنين وحذَّرهم منهم لئلا يمكروا بهم. {**..وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ..**}: على لسان رسول الله ﷺ. {**..مِنَ الْحَقِّ..**}: أنكروا الحق وحاربوه. {**..يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ..**}: أخرجوا رسول الله ﷺ من مكة، هم كادوا وعملوا لإخراجه والله سبحانه سمح له بالهجرة وأخرج رسوله من مكة إلى المدينة المنورة لرد الناس للحق. خروجه ﷺ كان بأمر من الله: {**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ..**}: *سورة الأنفال: الآية (٥)*. والحق أن يترك رسول الله الآن أهل مكة وأن يكون ﷺ مع أهل المدينة يدلهم ويرشدهم ليؤمنوا، وكل هذا تدبير من الله لخير الطرفين، أهل مكة وأهل المدينة.

وبعد هجرته ﷺ ظهرت النتائج الخيِّرة من هذا التدبير الذي دبَّره الله لهم، فلقد آمن أهل المدينة ورجع ﷺ لأهل مكة وأسلموا جميعاً. {**..وَإِيَّاكُمْ..**}: أخرجوكم إلى الحبشة وأخذوا أموالكم وأملاككم. {**..أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ..**}: كل هذا فعلوه لئلا تؤمنوا بالله ولتعودوا للكفر. الكافر سافل منحط يتمنى أن تكون الناس كلها مثله في الضلال والانحطاط والكفر. {**..إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي..**}: أنتم خرجتم لهذا. {**..تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ..**}: لذلك أنتم لا تفعلون ذلك بعد إيمانكم العالي وكشفكم الحقيقة لأنكم مؤمنون. {**..وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ..**}: بعد نزول هذه الآية وبيان الله لهم تراجع المؤمنون عن معاملة أهلهم وموادتهم وحاربوهم. {**..وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ..**}: أيها المؤمنون. {**..فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**}: الله سبحانه أرشدكم لطريق السعادة والطريق

الموصل لهدايتهم وحذَّركم من مماشاتهم ومعاملتهم، إن فعلتم غير ذلك تقعون بشرِّ حالكم وتضلُّون عن الحق وعن طريق السعادة ولا تستطيعون هدايتهم.

٢ ـ

{**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ..**}: إن يحكموكم، الله سبحانه وتعالى بهذه الآية بيَّن لأصحاب رسول الله ﷺ والمؤمنين حال الكفار فيما لو أصبح لهم الحكم عليهم وأصبح لهم عليكم سلطاناً ماذا يفعلون. هم لا يستطيعون حكم المؤمنين وهذا ما لم يحدث في الماضي ولا يمكن أن يكون؛ أن يحكم كافرٌ مؤمناً. إذن طالما لا يمكن أن يحكموكم فسيكونون لكم أعداء يتآمرون ويمكرون بالخفاء لرد الحق وردكم إلى الكفر والضلال، إن آل لهم الحكم. {**..يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً..**}: يعادونكم لما في نفوسهم من حقد عليكم وعلى رسول الله ﷺ فهم يكرهون الحق والسير به. {**..وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ..**}: بالحرب والقتل والتعذيب، يتفننون بتعذيبكم، يأتونكم مستعمرين وينهبون بلادكم ويفتكون بالأعراض والأولاد والبلاد. {**..وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ..**}: يتكلمون عنكم بالسوء ينعتونكم بصفات سيئة يقولون عنكم: متخلِّفون، أشرار. {**..وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**}: هذا ما يتمنُّونه وهذا سبب عدائهم لكم حتى تكفروا بالله ورسوله، مرادهم أن تسيروا بالكفر والضلال والانحطاط مثلهم، زنى، فواحش، خمور، لواط...

٣ ـ

{**لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ..**}: أهل هؤلاء المؤمنين دخلوا على أبنائهم من ناحية المودة والرحمة ليمكروا بهم، وادِدوا المؤمنين مداهنة لعلهم يميلون لهم بالمحبة وينخدعون بهم، وبهذا يُخشى على المؤمنين من أهلهم من هذه الناحية فقط أن ينخدعوا بهم، لذلك حذَّرهم الله منها مبيِّناً لهم أن هؤلاء أهليكم لا خير فيهم الآن ولن ينفعوكم بالسير معكم بالحق، نواياهم تجاهكم سيئة، يريدونكم أن تميلوا إليهم لتقعوا بأخطاء من أجل أن تضعفوا وترجعوا للكفر. {**..يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ..**}: أمر الله المؤمنين بقتالهم ومقاطعتهم ليوم القيامة، ما داموا مصرِّين على كفرهم ونواياهم الخبيثة هذه، وذكَّرهم الله بما فعلوا مع رسول الله ﷺ ومعهم حين كانوا بمكة حثّاً على قتالهم: {**أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ**} *سورة التوبة: الآية (١٣)*. سيدنا أبو بكر كان ضد ابنه في الحرب، قال له: لو شاهدتك بالحرب لقطعت رأسك. أبو عبيدة بن الجراح حارب أباه وقتله، وكذلك مصعب بن عمير كان ضد أمه ولم يذهب إليها حين طلبته وهي على فراش الموت. {**..وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}: بصير بأعمالكم ونواياكم لذلك نبَّهكم وحذَّركم قبل الوقوع حبّاً بكم ورحمةً وحناناً عليكم أيها المؤمنون.

٤ ـ

{**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..**}: دائماً الأسوة والقدوة هم الرسل والأنبياء لأنهم ما انقطعوا عن الله سبحانه وتعالى أبداً، فهم صلوات الله عليهم أجمعين بالنور والإقبال

والقدس يدلُّون الناس على الإيمان ويقدِّسونهم، جاؤوا للدنيا من أجل هذا، جاؤوا هداة مهديين {**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ..**} *سورة الأنعام: الآية (٩٠).* {**..فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ..**}: من الأنبياء والرسل، سيدنا لوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب صلوات الله عليهم أجمعين. {**..إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ..**}: كل واحد منهم قال لقومه. {**..إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ..**}: يصف لنا الله تعالى بكلمة: **(بُرَآءُ)** حال الرسل والأنبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، فنفوسهم طاهرة نقية لم تقع فيها شائبة لا قبل النبوة ولا بعدها، كل هذا بسبب إقبالهم الدائم على الله وعدم انقطاعهم عنه سبحانه، فهم من الأزل على هذا الحال ما التفتوا لغيره سبحانه وما مالت نفوسهم لسوى الله تعالى. {**..وَمِمَّا تَعْبُدُونَ..**}: تطيعون. {**..مِنْ دُونِ اللَّهِ..**}: المخلوق، أنتم أطعتم بعضكم بعضاً ولم تطيعوا الله، ما سرتم بكلامه وهديه سبحانه، سرتم على كلام المخلوق والأصنام وتركتم كلام ربكم، كذلك بهذا الزمان هجروا القرآن وساروا بغيره، أطاعوا بعضهم بعضاً ولم يطيعوا الله، فتبرَّأت منهم الرسل والأنبياء وانحطَّت منزلتهم عند الله وعند المخلوق. {**..كَفَرْنَا بِكُمْ..**}: نكرنا ما تطيعون، ما سرنا على ما سرتم عليه من عقائد فاسدة تفسد قلوب الناس وتعود عليهم بالسوء، الآن أباحوا كشف الوجه للمرأة، أحلوا الربا بنسبة قليلة، قالوا لا مانع منه، والناس سارت على كلامهم، أطاعوهم بفتواهم هذه وما أطاعوا الله، وهذا ما أوقع الناس اليوم بما أوقعهم به من رذيلة أوصلتهم للشقاء والآلام والحروب، حيث تركوا كلام الخالق العظيم ولحقوا وساروا بكلام المخلوق. كلام الله يوصل للسعادة. {**..وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ..**}: هذه صفات المؤمنين ولسان حالهم. هذه الآية حثٌّ للمؤمنين على الجهاد، أي: "قوموا لقتالهم"، المؤمن يعادي لله حباً بالله وحناناً ورحمة منه على الخلق، الكافر عكس المؤمن يعادي من أجل الدنيا وشهواتها. {**..أَبَدًا..**}: دائماً، طالما أنتم على هذا الحال من الكفر والعداء للحق. {**..حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ..**}: تعودوا للحق وتؤمنوا بالله وتسيروا بما يأمركم الله به على لسان رسوله من أجل سعادتكم. {**..إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ..**}: يُبرِّئ الله سبحانه وتعالى بهذه الآية سيدنا إبراهيم من الخطيئة التي نسبوها له عليه السلام بسبب استغفاره لأبيه، فالله سبحانه بهذه الآية استثنى سيدنا إبراهيم لأنه نبي، والأنبياء لا ينقطعون عن الله طرفة عين لا في ليل ولا في نهار، وبهذا لو واجههم العالم كله بكفره وضلاله وفِتَنه يستطيعون الوقوف بوجهه ومسح الكفر، ولا أحد يؤثِّر عليهم ويزعزع إيمانهم بالله أو يحوِّلهم عنه تعالى، لا إنس ولا جن ولو اجتمعوا جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً ضده عليه السلام . أما غير الأنبياء لهم انقطاع عن حضرة الله وعندهم ميول وارتكابات وقعوا بها في الماضي قبل سيرهم بطريق الحق فيُخشى عليهم إن استغفروا لغيرهم ولو كانوا أهليهم من الانقطاع والبعد عن الله والوقوع بالكفر. فهم إن استغفروا لغيرهم سيصبحون بخطر عظيم، وبلحظة انقطاع عن حضرة الله قد تهوي نفوسهم بالظلام لذلك نهاهم الله سبحانه عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا آباءهم وأهليهم رحمة بهم. وهذا لا ينطبق على الرسل والأنبياء ولا ينطبق على سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، لذلك سمح الله باستغفار إبراهيم لأبيه فكان سيدنا إبراهيم دائم الاستغفار لأبيه، أي دائم التوجُّه له بالنور الذي معه، فأعظم تجلٍّ من الله ينصب على نفس أعظم صادق مع الله.

رسول الله ﷺ إذا توجَّه بهذا التجلِّي لأصحابه محا من نفوسهم كل ماضيهم وعيوبهم، سيدنا إبراهيم عليه السلام كان طيلة حياة أبيه يغمره بالنور والسعادة فلعلَّ أباه يلتفت إليه لفتة واحدة، وبهذا الالتفات يؤمن وتتغير أحواله كلها، كما حصل للسحرة مع سيدنا موسى، ولكن أباه رغم هذا كله ما التفت، ومات على هذا الحال، عندها أدرك سيدنا إبراهيم أنه لم يعد هناك أمل بأبيه يُرتجى بالتغيير والنجاة بعد الموت مهما استغفر له، ولابدَّ له من التطهير في عذاب القبر، لذلك تبرّأ عليه السلام منه وتركه حين تبين له أنه عدوٌّ لله ولا أمل بنجاته. وأنتم أيها المؤمنون لكم بترك إبراهيم لأبيه أسوة حسنة بعد أن تبيَّن لكم عداوة أهليكم لكم ولله ولرسوله حيث أخرجوكم وأخرجوا رسولكم من مكة، لذلك لم يبقَ فيهم أمل للرجوع بالحسنى والمداراة، فلابدَّ من قتالهم حتى يرجعوا للحق.
{**..وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ..**}: هكذا خاطب سيدنا إبراهيم أباه وكان يحاوره. قال له عليه السلام : الاختيار لك أنا لا أستطيع أن أجعل الإيمان بقلبك ولا أستطيع أن أرد عنك شيئاً من العذاب إن جاءك. سيدنا إبراهيم عليه السلام شاهد أن لأبيه علاقة عاطفية معه لكن هذه العلاقة النفسية ضعيفة ولا يستطيع من خلالها أبوه أن ينتصر على قومه ويقف ضدهم، وبناءً على هذه العلاقة الخفيّة الضعيفة صار عليه السلام يبني عليها الآمال في نجاة أبيه بأن يسحبه من خلالها إلى الإيمان والجنة، وهذه رحمةٌ يُحمد عليه السلام عليها. ولكن حين مات أبوه وهو لا يزال على إعراضه وعداوته للحق هنالك توقف سيدنا إبراهيم عن التوجُّه بالنور لأبيه، فلا استغفار يجدي معه وينفع بعد الموت على حالٍ من العداء والكفر والإعراض. {**..رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا..**}: هذا لسان حالهم صلوات الله عليهم أجمعين، تَوَكَّلْنَا: استسلمنا لك ولأوامرك يا رب لأنك كلك رحمة وحنان علينا وعلى الخلق جميعاً. {**..وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا..**}: راجعون دوماً لك بكل أمر. {**..وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**}: المصير عندك، المرجع إليك سبحانك.

٥ـ

{**رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا..**}: هذا قول المؤمنين ولسان حالهم، دائماً يطلبون من الله سبحانه ألا يجعل لكافر عليهم سلطاناً، وألّا يكون علاج إصلاح نفوسهم وشفاؤها وتوبتهم عن هذا الطريق، طريق تعذيب الكافرين لهم. لسان حالهم يقول: يا رب أنت ستّار، استرنا بأنوارك وليكن شفاؤنا ودواؤنا وتوبتنا عن طريقك فأنت أرحم وأحنّ. هؤلاء الكفرة قساة فلا تجعلنا فتنة لهم إن أخطأنا ينفتنون بما في نفوسنا فيتفننون بتعذيبنا. المؤمن إن أخطأ وأصرَّ على خطئه جعل الله للكافر عليه سلطاناً ليعود للحق ويتوب. {**..وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا..**}: تجلَّ علينا بنورك يا رب لئلا نقع بخطأ ولتشفى نفوسنا. {**..إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ..**}: عزتنا بك ومنك يا رب. {**..وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ..**} *سورة المنافقون: الآية (٨)*. فلا تجعل يا رب لهم سلطاناً علينا فنذل، أنت أحنّ وأشفق. {**..الْحَكِيمُ**}: بنا وبكل الخلق وما يناسب كل مخلوق.

٦ـ

{**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ..**}: بإبراهيم والذين معه من الأنبياء. {**..أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..**}: طالب الحق والإيمان يسير بسيرهم. {**..لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ..**}: يرجو الإقبال عليه ونوال الكمال منه سبحانه. {**..وَالْيَوْمَ الْآخِرَ..**}: دخول الجنة. {**..وَمَنْ يَتَوَلَّ..**}: منكم عنهم وعن السير بسيرهم. {**..فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ..**}: غنيّ عنكم وعن العالمين ولا تضرُّونه شيئاً، لكن حنانه ورأفته تقتضي دلالتكم وإرشادكم. {**..الْحَمِيدُ**}: يحمد على إرشاده لكم وبيانه.

٧ـ

{**عَسَى اللَّهُ..**}: أيها المؤمنون إن أنتم ظللتم ثابتين على قتالهم وجهادهم ولم تضعفوا. {**..أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً..**}: الخاتمة والنتيجة لكم، سوف يرجعون للحق جميعاً ويؤمنون، الله لا يتركهم حناناً منه سبحانه عليهم سيعالجهم بما يرسل لهم من مصائب وأمراض وفقر لعلهم يرجعون للحق ويؤمنون، فإن تابوا وأقاموا الصلاة فإخوانكم في الدين، عندها ترجعون إليهم بالمودة وتعاملونهم بالرحمة، أما إذا انخدعتم بهم الآن وهم على الكفر فسوف يؤثِّرون على إيمانكم ويضعفونكم ثم لا يؤمنون بعدها أبداً، والله لا يحب لكم ولهم هذا المصير لذلك بيّن لكم نواياهم وحذَّركم من مكرهم وتدابيرهم ونبَّهكم وأرشدكم لطريق هدايتهم، فهم لا يؤمنون إلا عن هذا الطريق، طريق القتال والجهاد. {**..وَاللَّهُ قَدِيرٌ..**}: على ذلك، إن ثبتم الآن على معاداتهم فلكم النصر عليهم، ولابد وأن يرجعوا إلى الحق ويؤمنوا. {**..وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}: يشفيهم ويرحمهم.

٨ـ

{**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ..**}: هؤلاء طالما أنهم لم يعتدوا عليكم فالله لا يمنعكم من التعامل معهم، فلهم الاختيار، إن شاؤوا آمنوا. {**..أَنْ تَبَرُّوهُمْ..**}: تعاملونهم بالإحسان والمودة لتسحبوا قلوبهم للإيمان ومحبة رسوله فيؤمنوا ويسعدوا. {**..وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ..**}: عاملوهم بالحق والعدل، فلا يجوز التعدّي عليهم وظلمهم بأن تقولوا هؤلاء كفار وتبيحوا لأنفسكم ماليس لها حق، إن الله لا يحب المعتدين، فلا تعتدوا عليهم وتظلموهم. {**..إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**}: هكذا يحبكم الله أن تكونوا معهم، أن تسيروا معهم بالعدل ليؤمنوا وبهذا تقبلون عليه سبحانه وتدخلون الجنة.

٩ـ

{**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ..**}: فقط هؤلاء قاتلوهم لأن القتال خير لهم لعلَّهم يرجعون للحق. {**..وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ..**}: مكة. {**..وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ..**}: بالإثم والعدوان. {**..أَنْ تَوَلَّوْهُمْ..**}: احذروا. {**..وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ..**}: منكم. {**..فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**}: لأنفسهم، ظلموا أنفسهم بموالاتهم لهؤلاء الكفرة، إن والى

المؤمن كافراً صار مثله حيث يتعلق قلبه به، وبهذا التعلُّق يتشرَّب منه البعد عن الله وعن رسوله وكراهية الحق، وبهذا يكون قد ظلم نفسه وأدخلها النار.

-١٠

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ..**}: هؤلاء النساء من قوم كفار، فأهلهن كفار، تركنهم وأتينكم يطلبن الإيمان. {**..فَامْتَحِنُوهُنَّ..**}: تأكدوا من نواياهن، قد تكون نواياهن سيئة لذلك امتحنوهن؛ تأكدوا إن كنَّ جاءكم من أجل الإيمان أم من أجل أن يكنَّ أعيناً عليكم للكفار ولهنَّ بمجيئهنَّ لعندكم نوايا خبيثة، لكي يدخلنَّ بكم ويبثنَّ التفرقة بينكم وليحوِّلنكم عن إيمانكم. {**..اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ..**}: الله أعلم بهن، قد يكن كاذبات، أنتم يجب أن تعلموا وتكشفوا نواياهنَّ وتتأكدوا منها. المؤمن يستطيع فحصهن وكشفهن، غير المؤمن ينخدع بهن ويسحبنه للكفر، المؤمن بإيمانه بالله سبحانه يُعلّمه. {**..فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ..**}: تأكدتم من ذلك. {**..فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ..**}: أبقوهن. {**..لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآَتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا..**}: ساعدوا المؤمنين، هذه جاءت من عند الكفار والمؤمن أنفق عليها، يجب أن تعطوا المؤمنين ما أنفقوا عليهن من مال، أعطوهم كل ما أنفقوا. {**..وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ..**}: تتزوجون منهنَّ بشرط: {**..إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ..**}: تدفعون لها مهرها. {**..وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ..**}: من استعصمت بالكفر ولاذت بالكافرين من الإنس والجن هؤلاء أرجعوهن لأهاليهن إذا وجدتموهن كافرات ولو كنّ جميلات ومتكلمات لا تتمسكوا بهن أرجعوهن لأقوامهن ولو كانت زوجتك. {**..وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ..**}: كل ما أعطيتها إياه من مال وهدايا خذه منها. {**..وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا..**}: إياك يا مؤمن أن تأخذ شيء من مالها، إن أخذت مالها جعل الله لها عليك سلطاناً، أعطها كل مالها لا تأخذ منه شيئاً. {**..ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ..**}: لكم، طبّقوا هذا أيها المؤمنون. {**..يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ..**}: بما فيه السعادة لكم. {**..حَكِيمٌ**}: بكم، لذلك أنزل عليكم هذا التشريع.

-١١

{**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ..**}: ذهبت لعند أهلها وأخذت ما ليس لها به حق من أموال زوجها المؤمن "سرقته". {**..فَعَاقَبْتُمْ..**}: إذا عاقبتم الكفار على ما فعلوه من مكر وخداع. {**..فَآَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا..**}: إن استردَّيتم الحق منهم أرجعوه لأصحابه المؤمنين، أرجعوا ما سرقت زوجته له من مال. {**..وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**}: إياكم أن تفعلوا غير ذلك، اسعوا لأن تصلوا للتقوى حتى تستطيعوا أن تطبقوا ما أمركم الله به.

-١٢

{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا..**}: لا يُطعنَ إلا كلام الله. {**..وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ..**}: إن حافظت المرأة على جوارحها حُفظت من الوقوع بالزنى. {**..وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ..**}: بالإجهاض وغيره، كذلك قتل نفوس أولادهم

بعدم تربيتهم التربية الصالحة بأن يسمحوا لأولادهم بالمنكر فيقعوا بالفاحشة، وبذلك موت وقتل لنفوس أولادهم. {**..وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ..**}: يَتَّهمنَ غيرهن بالسرقة والزنى والفاحشة. {**..وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ..**}: في تطبيق ما تأمرهنَّ به من حجاب وغيره. {**..فَبَايِعْهُنَّ..**}: إن جاءك المؤمنات فبايعهنَّ، عاهدهنَّ، خذ منهنَّ العهد على هذا وبأن لهنَّ الجنة إن طبقن أمر الله، وهذه المبايعة بأمر من الله سبحانه، فلقد اجتمعت النساء في غرفة كبيرة لها نافذة من الأعلى والرسول في غرفة ثانية، ووقف سيدنا عمر بن الخطاب بين الغرفتين فخاطبهم رسول الله ﷺ من وراء جدران الغرفة، والنساء سمعن كلامه ﷺ وعاهدنه ووضعن أيديهن بإناء من الماء كما فعل رسول الله ﷺ ووضع يده الشريفة في إناء ماء ثانٍ وبذلك تمت البيعة، والماء دليل الحياة، وبهذه المعاهدة سرى النور الإلّهي إلى نفوس المؤمنات وارتوت قلوبهن بالتجلي الإلّهي فصارت لهن الحياة من الله ودخلن بالسعادة. {**..وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ..**}: توجَّه لهنَّ بالنور العظيم الذي معك "على نفوسهن"، وبهذا التوجُّه ينمحي من نفوسهنَّ كل ماضٍ وعيب ويشفين من عللهنَّ وأدرانهنَّ. {**..إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ..**}: شفاهن من عللهن وأمراضهن النفسية. {**..رَحِيمٌ**}: كل هذا لأنه تعالى رحيم بعباده ويريد لهم السعادة ودخول الجنة.

١٣ -

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ..**}: وهم اليهود، غضب الله عليهم لأنهم عرفوا الحق وانحرفوا عنه، جاءهم سيدنا موسى رسولاً من الله لهم وجاءتهم التوراة وانحرفوا عنها، كذلك عرفوا أن محمداً ﷺ رسولٌ من الله فأنكروه رغم معرفتهم به. {**..قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ..**}: لو لم يكونوا يائسين منها لتمنوا الموت، والله سبحانه وصفهم بقوله الكريم: {**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ..**} *سورة البقرة: الآية (٩٦)*. لا يريدون الموت ولا يحبونه لأنهم يئسوا من الآخرة، يأسهم بسبب أعمالهم الخبيثة الشريرة المخزية، فنفوسهم خجلى من الله بسببها. {بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} *سورة القيامة: الآية (١٤-١٥)*. {**..كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ**}: الكافر لا يعرف أن بعد الموت هناك آخرة وهناك جنة ونار فهو لا يصدِّق بكل هذا، بل ويعتقد أن من يسير بهذا إنما هو يمشي بالوهم والخيال، إذ يترك المحسوس الملموس أي يترك الدنيا ولذائذها ويمشي بالوهم. لذلك ينكرون الخلق والحياة والقيام مرة ثانية في الآخرة. اليهود حيث أنهم ما طبَّقوا كلام الله وما أطاعوا رسلهم وما آمنوا لذلك يئسوا من الآخرة، أي: عرفوا أنهم ضيَّعوها ولم يبقَ لهم فيها شيء، كما يئس هؤلاء الكفار من عودة من مات إلى الحياة مرة ثانية، هؤلاء اليهود احذروهم ولا توالوهم لأنهم أذى وضرر عليكم.

والحمد لله رب العالمين

تأويل سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ

{**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..**}: الخلائق كلهم كانوا بجنة قبل مجيئهم للدنيا، الكل سابح بفضله تعالى وعطائه ومشاهد لنوره، بذاك العالم الذي يسمونه عالم الأزل أحب الله للخلائق أن ينالوا أكثر لكيلا يملُّوا ببقائهم على حال واحد، لذا أرسلهم للدنيا ليزدادوا كسباً وفضلاً منه تعالى ويسيحوا بهذا العطاء الكبير والفضل الجديد وينعموا بمشاهدة أسمائه تعالى الحسنى. {**..وَهُوَ الْعَزِيزُ..**}: بالماضي شاهدتم هذا الفضل والعطاء منه تعالى، كذلك بالدنيا لا معطي سواه سبحانه، منه فقط تنالون الخير والعطاء، التفتوا بالإيمان إليه تعالى فلا تلتفتوا لغيره ولن تشركوا. {**..الْحَكِيمُ**}: حكم وقضى وحكمه وقضاؤه مبنيٌّ على حكمة، أي: بما يناسب وبما يرقى بهذا الإنسان، وأحبَّ لكم أن تكسبوا عطاءً كبيراً وأن تنهلوا منه سبحانه أكثر وذلك حباً بكم، ولن تنالوا هذا الفضل وهذه الجنات إلا بالإيمان وبالعمل الصالح، فهو تعالى القائم على كل نفس بما كسبت وكل أفعاله تعالى ضمن الحكمة وعين الكمال.

٢ ـ

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**}: لم تقول أنك ستنتهي عن أمر ثم لا تصرَّ على ما قلت وتنتهي، ينوي على ترك صفة سيئة من نفسه أو شهوة دنيوية ثم يتردد ولا يفعل، وهذا التردد والتأخير يؤثر عليه وعلى إيمانه ودرجته، ينوي جهاد هوى نفسه ولا يجاهد فيها حقَّ الجهاد، الصادق ينوي ويصمم وينطلق للسعي والعمل الصالح.

٣ ـ

{**كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ..**}: ما نراه اليوم من فحش وإجرام وخمور وما حلَّ بالبشرية من شقاء وآلام هذا يمقته الله ولا يريده لعباده. {**..أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**}: وأنتم أيها المؤمنون يا من جَعلْتكم سبباً لهداية عبادي تدعون الناس للإيمان وأنتم لم تؤمنوا بالله إيماناً شهودياً!. تدعونهم للفضيلة والإنفاق ولجهاد الهوى والنفس وأنتم لستم كذلك، فلمَ تقولون ما لا تفعلون؟! وهذا ما لا يليق بكم، جاءكم رسول الله لتؤمنوا بالله وتقبلوا عليه سبحانه وتشفى نفوسكم وتعملوا لتنقذوا إخوانكم، بإرشادكم لهم تنقذونهم من الفواحش والانحطاط والنار، فما آمنتم ولا فعلتم، وهذا يمقته الله لشديد رحمته وحنانه على خلقه وحباً بهم وعطفاً عليهم لإنقاذهم.

٤ ـ

{**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا..**}: متماسكين متحابين. {**..كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**}: مثل حائط مرصوف مُوْثَق، المؤمنون لا يختلفون مع بعضهم بعضاً، دائماً

الاختلاف من الشيطان ليوقع العداوة والبغضاء، إن اختلفوا فشلوا، ذهبت ريحهم، عندها يبدّلهم الله سبحانه وتعالى بقومٍ آخرين.

المؤمنون على قلب واحد، أذلة فيما بينهم لا يتكبرون ولا يتعالون على بعضهم بعضاً، متماسكون متحابون متباذلون، كل مؤمنٍ يقدِّم أخاه على نفسه ويفديه بروحه وماله، والله يزيدهم من فضله {**..لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ..**} *سورة إبراهيم: الآية (٧)*. هكذا الله يحبهم أن يكونوا، المؤمن لا يشتكي من أحد لا يقول فلان فعل معي كذا وكذا، بل يقول ما جاءني أنا سببه، عِلَلٌ بنفسي، أخطأت وعملت سوءاً فعاد عليّ عملي بهذا السوء، دائماً لسان حاله يقول لولا ما في نفسي من خبث ما تسلط عليّ أحد، يتوب ويسعى لشفاء نفسه يحب أن تطهر نفسه.

٥ـ

{**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي..**}: بالمجادلة والإنكار والظن بالمعصوم "سيدنا موسى" ما ليس فيه من نقائص وحاشاه، جادلوه لأنهم ما آمنوا بالله وما آمنوا أن كلامه عليه السلام منزَّلٌ عليه من الله لذا ساروا برأيهم وجادلوا رسولهم. {**..وَقَدْ تَعْلَمُونَ..**}: عندكم الإمكانية للسمو للعلم بلا إلَه إلا الله والشهود لأسماء الله الحسنى. {**..أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ..**}: وإنكم لتؤمنون وتعتقدون بأني رسول، اعْتَقَدوا اعتقاداً لكن ما آمنوا ويقَّنوا ليشاهدوا بقلوبهم أن موسى عليه السلام رسول الله. صحابة رسول الله ﷺ آمنوا صار لهم نور من الله، به شاهدوا حقيقة رسول الله ﷺ السامية، قالوا يا رسول الله إننا نراك في رابعة النهار ونورك يطغى على نور الشمس. بنو إسرائيل ما آمنوا ما قدّروا سراجهم المنير عليه السلام . {**..فَلَمَّا زَاغُوا..**}: عنه عليه السلام وعن بيانه وغيَّروا، هم كانوا خارجين عن الحق، بالبداية صدَّقوا أنه رسول الله وأن كلامه منزَّل من الله لكن بعدها غيَّروا، السبب ما ساروا بالقانون الموصل لله فما آمنوا من ذاتهم وهذا حال كل من لم يؤمن بربه سوف يتراجع وينكر ما اعتقد به. {**..أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ..**}: صرف الله قلوبهم عن اتّباعه لإخراج ما وقر في نفوسهم من الغي والباطل. بنو إسرائيل لا يريدون الهداية لأنفسهم، ما عملوا لأجل أن يهتدوا ويؤمنوا، والله صرفهم عن الاتّباع، السبب ما جاهدوا أهواءهم، لو جاهدوا ما وقعوا بهذا. {**..وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**}: هل يشفى المريض من مرضه إن ما طبق وصية الطبيب من حمية ودواء؟. وكذلك هؤلاء لم يطبقوا ما أمرهم الله ورسوله فما شفوا من عللهم، فكيف يهتدون؟...

٦ـ

{**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ..**}: إنني أبين لكم التوراة. أليس هذا دليلاً على رسالته عليه السلام حيث لم يبقَ شيء من حقيقة معاني التوراة، كتاب التوراة موجود ولم يحرَّف لكن علماءهم أدخلوا التفاسير الباطلة عليه فضيَّعوا حقيقته، والآن من يبيِّن لنا حقيقة القرآن؟. {**..وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي..**}: محمد ﷺ. إن آمنتم الآن أبشركم أن يجعل الله الفتوح على

أيدي أبنائكم وبصحيفتكم. {**..اسْمُهُ أَحْمَدُ..**}: أكثر حمداً مني لله، رسول الله ﷺ مذكور عندهم في التوراة والإنجيل، وسيدنا موسى أخبر عنه وكذلك سيدنا عيسى أخبر عنه بالإنجيل، معنى قول سيدنا عيسى اسمه أحمد أي أسبق مني بالحمد لله وأعلى مني منزلةً عند ربه "السابق الأسبق". {**..فَلَمَّا جَاءَهُمْ..**}: رسول الله محمد ﷺ. {**..بِالْبَيِّنَاتِ..**}: بالقرآن، بيَّن لهم كل شيء، ما أبقى شيئاً إلا وبينه ﷺ بالقرآن. {**..قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**}: أنكروا رسالته، قالوا كلامه تخيُّلات، سحر مبين ظاهر.

٧-

{**وَمَنْ أَظْلَمُ..**}: لنفسه منهم، أنكروا رسالته وما صدَّقوا، وبهذا الإنكار لرسول الله ﷺ وهو النور لهم، نفوسهم أظلمت بظلمات الشهوات وبهذا ظلموا أنفسهم. {**..مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ..**}: المفتري كاذب، يعرف الحقيقة وينحرف عنها ويدَّعي غيرها، وهؤلاء عرفوا رسولنا محمداً أنه رسول الله وأنكروا وأخفوا هذه الحقيقة. {**..وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ..**}: يُدعى إلى الاستقامة والطاعة والإيمان حيث السعادة والجنة والنور، علامة المؤمن لا يحسد ولا يغار، يرى الحق ويسير عليه وينصره. وبنو إسرائيل لو كانوا مؤمنين بزمن رسول الله ﷺ ما حسدوا وما غاروا من العرب لأن الرسول جاء منهم. {**..وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}: لأنفسهم لأنهم لا يريدون الهداية، هؤلاء ظلموا أنفسهم بهذا الافتراء والكذب والإنكار لرسول الله وهو ﷺ باب الهداية والنور لهم، فكيف يهتدون بدونه ولا طريق لهم بالهداية إلا به ﷺ.

٨-

{**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ..**}: العلماء الذين أنكروا رسالته ﷺ. {**..وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**}: والوقت صار قريباً جداً عندها لا يبقى كافر ولا كفر على وجه الأرض.

٩-

{**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ..**}: للعالمين. {**..بِالْهُدَى..**}: بالقرآن ليهتدوا إلى الله ويؤمنوا. {**..وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ..**}: كل الدعوات الباطلة سوف تزول ولا يبقى إلا القرآن دين الله الحق، وسيحصل هذا. {**..وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**}: اليهود والنصارى وكل من سار على سيرهم واتبعهم.

١٠-

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ..**}: تجر لكم الخير الكثير الدائم، الدنيا زائلة أما الآخرة فإنها دائمة. {**..تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**}: تنجيكم في الدنيا من الآلام والمصائب والشقاء، وفي البرزخ من عذاب القبر وفي الآخرة من عذاب النار. الحياة الدنيا دار العمل والإيمان فالإقبال على الله وهداه، فالتجارة بالدنيا حيث فيها شفاؤكم شفاء

قلوبكم من العلل والأمراض، تطهر نفوسكم من مرض حب الدنيا الذي يخفض من شأنكم عند الله وعند الناس.

١١ـ

{**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..**}: إيماناً شهودياً بأن الله مسيِّر هذا الكون ومسيِّر الخلق جميعاً من الإنس والجن، كلٌّ لما أراده لنفسه واختاره وعلى مستحقِّين، فلا يتسلَّط الظالم إلا على ظالم مثله، ولا تمتد يد المحسن بالإحسان إلا على شخص سبق منه الإحسان لغيره، ولا ظلم بالكون. {**..وَرَسُولِهِ..**}: إن آمنتم بلا إلّه إلا الله صار لكم نور من الله، وبنوره سبحانه تشاهدون حقيقة رسول الله ﷺ فتعرفونه وتؤمنون بأنه رسول الله. {**..وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ..**}: إن آمنتم عندها تستطيعون الجهاد في سبيل الله، حيث لم يبقَ للدنيا وشهواتها قيمة بنفوسكم، المؤمن وطالب الإيمان يجاهد هوى نفسه. {**..بِأَمْوَالِكُمْ..**}: تنفقونها على مستحقيها. {**..وَأَنْفُسِكُمْ..**}: تفتدون بها حين الحق. {**..ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ..**}: العائد لكم وعليكم بالخير والسعادة والجنة. {**..إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}: لا إلّه إلا الله، وآمنتم بها تفعلون هذا، تنفقون وتجاهدون وتفعلون المعروف، عندها:

١٢ـ

{**يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ..**}: يشفي لكم نفوسكم مما حلَّ بها من صفات سيئة ويضع الكمال فيها عندما تقبل عليه سبحانه، وبالشفاء سعادة لا يعدلها شيء حيث تَخلَّصت النفس مما كان يؤلمها وبرأت من مرضها. {**..وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ..**}: نفوسكم تنتقل من حال لحال أعلى ومن مشاهدة لجمال الله إلى مشاهدة أعلى، وهذه هي الجنة، وهي مشاهدة وجه الله الكريم ولا عجب. {**..تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..**}: وهي ما دون النظر لوجه الله الكريم، يعطيكم اللذائذ ولا يحرمكم سبحانه من شيء. {**..وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً..**}: تسكن نفوسكم. {**..فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ..**}: جنات عديدة لا نهاية لها أبد الآبدين، وتدعون الناس لها. والله سبحانه من أجل هذا خلقنا. {**..ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}: الفوز بهذا، لا بالدنيا الفانية وما فيها.

١٣ـ

{**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا..**}: أنتم. {**..نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ..**}: لكم. {**..وَفَتْحٌ قَرِيبٌ..**}: ما يفتح الله لكم من الهدى. نورٌ تحصلون عليه. {**..وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**}: بهذا، كل هذا سينالونه وسيقع.

١٤ـ

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ..**}: انصروا الحق. {**..كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ..**}: الذين حاوروه وناقشوه. {**..مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ..**}: من ينصرني. {**..قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ..**}: بنو إسرائيل قالوا: كلنا ينصر الحق وكلنا على الحق، ولكنهم ليسوا كذلك. إن مثل أمّة عيسى عليه السلام كمثل الأمة الحاضرة، أيّاً سألته هل تؤمن بالله؟ يقول: بلى. ولكنه في الحقيقة يؤمن بأن الله خالق فقط ولا يؤمن بأن الله بيده تصريف الأمور وتسيير الخلق جميعاً، فلما خاطبهم عيسى عليه السلام قالوا

جميعاً نحن أنصار الله، ولكنهم قالوا بأفواههم ذلك، وكانوا يجادلونه ويحاورون في الحق فآمنت طائفة منهم معه وكفرت البقية. {..**فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ..**}: الحواريون الأحد عشر شخصاً الذين حاوروه. {..**وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ..**}: الذين جادلوه عليه السلام ما آمنوا به. {..**فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**}: في الأرض، نصر الله هؤلاء الحواريين الأحد عشر، انتصروا في روما وآمن معهم معظم بلدان العالم لأنهم آمنوا حقيقةً، المؤمن يؤيده الله وينصره.

والحمد لله رب العالمين

تأويل سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ

{**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..**}: كل شيء مفتقر إلى الله تعالى، إن الله دائم التسيير لهذا الخلق بأجمعه لمن يأتي ولمن لم يأتِ، كل الخلق مرتمون على ربهم والله سبحانه يسبّحهم بفضله وخيراته ويغدق عليهم بالعطاء والتربية، فالكل محتاج للهواء والماء والطعام والتسيير والله سبحانه يمدهم ويربيهم بهذا لكي يلتفتوا إليه ويؤمنوا به وينالوا منه الجنة، ولكن هل التفتوا لصاحب هذا الخلق والفضل وآمنوا به؟. {**..الْمَلِكِ..**}: سبحانه ملك كل شيء وليس للمخلوق أي شيء، كلهم مفتقرون إلى الملك جلَّ وعلا، كل الكائنات بيده وهو سبحانه مالك الكل وحاملهم وحامل هذه الكرة الأرضية والكون العظيم، هذا الكون على ماذا يقف ويستند؟. الأرض، القمر، النجوم، على أي شيء يقفون؟ إن فكر الإنسان بينه وبين نفسه صار له تقدير وتعظيم لهذا الصنع ومنه يصل لتقدير الصانع "رب العالمين" عندها يملِّك نفسه واختياره للمالك الحقيقي سبحانه. {**..الْقُدُّوسِ..**}: المتعالي، كل ما يصدر عنه سبحانه فهو خير، إذا رجعت النفس بالإيمان لله وملَّكته زمام أمرها عندها يطهّرها الله سبحانه وتعالى من كل شائبة وعيب فتشاهد ربَّها، وبهذه المشاهدات يقدّس الله نفس هذا الإنسان فتطهر مما بها من علل وأدران وذلك بما يمدّها من خيرات. وكل ما نراه الآن وما يبدر من الناس من نواقص وإجرام وارتكابات وفواحش هو من اختيارهم وليس من اختيار الله كما يدَّعون "أنه كتب عليهم هذا" ولا يرضى الله لهم هذا، لكنه سبحانه يمدُّ كل إنسان حسب رغبته واختياره وهو سبحانه لا يتنازل لمثل هذه الأمور. {..الْعَزِيزِ..}: لا يأتي الخير إلا منه سبحانه، وإذا التفتت النفس لغيره تخسر كل شيء، وهو ليس بحاجة إلى شيء والكل بحاجته. {**..الْحَكِيمِ**}: يعلم ما يناسب كلّاً فيُحْكِم له العطاء، يُعطي أحسن ما يستحقه المخلوق، إذا استحقَّت النفس يعطيها العطاء الكامل المناسب لها، ولو أعطى تعالى هذا الإنسان أكثر مما أعطاه واستحقه لكفر، ولو أنه أنقص عليه للجَّ، فلكل إنسان وما يناسبه، والكون كله يسيِّره ضمن الحكمة والكمال.

٢ ـ

{**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا..**}: في الذين أمُّوا للحق، هؤلاء فكروا فرأوا الدنيا كلها كذب وخداع لا تجلب للإنسان سعادة، نظروا فيها فرأوا كل ما فيها خيال وزائل لذلك مجّوها وطلبوا الحق فجمعهم الله برسوله. {**..مِنْهُمْ..**}: يشابههم في الأخلاق عندهم كمال بأنفسهم، بهذا الكمال اجتمعوا وأحبوا رسول الله وأمُّوا إليه ﷺ. {**..يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ..**}: ما أُنزل عليه ﷺ، فكل ما نال رسول الله من ربِّه من آيات كان يتلوها على أصحابه الكرام ويصبُّها في نفوسهم وهم بنوره يشاهدون. {**..وَيُزَكِّيهِمْ..**}: بإقبالهم عليه تسمو نفوسهم إلى الله وتحصل لهم التقوى، أي يصبح لهم نورٌ من الله به يشاهدون

الحقائق، عندها ﷺ يضع بنفوسهم الكمالات الإلَهية. {**..وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ..**}: فيعلمون ما في الكتاب ويضعون الأمور في مواضعها لأنهم أصبحوا أولي بصيرة، الصحابة الكرام أحبوا رسول الله وأقبلوا بنفوسهم عليه فصار ﷺ لهم نوراً، فشاهدوا ما في الكتاب من خيرات ومعانٍ من بعد أن بيَّن لهم ﷺ الحكمة من كل شيء من الكتاب، غدوا علماء حكماء، فهموا المعاني من رسول الله، فكل ما كلَّمهم به ﷺ شاهدوه بقلوبهم. {**..وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**}: لم يكونوا يعلمون شيئاً، ما عندهم علم ولا معرفة، مع رسول الله ﷺ تعلَّموا أين كانوا قبل مجيئهم للدنيا، ولِـمَ خلقهم الله وأرسلهم إليها، شاهدوا ماذا بعد هذه الدنيا، ما في الموت وما في الآخرة، شاهدوا كل هذا وتيقَّنوا منه، عرفوا أن الله خلقهم لمعرفة وشهود أسمائه الحسنى التي بها الجنات والسعادة، وكل من آمن في أي زمان ومن أي بلد كان يصبح منهم.

٣ـ

{**وَآَخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ..**}: نحن وكل من أتى بعد الرسول ﷺ مقتفياً أثره، وهكذا سيكون صحب سيدنا المهدي العظيم وصحب سيدنا عيسى عليه السلام وهؤلاء لم يأتِ زمانهم بعد. {**..وَهُوَ الْعَزِيزُ..**}: لا يأتي الخير إلا منه سبحانه، وهذا الخير والفضل ليس مقصوراً فقط على الصحب الكرام بل لكل من اتبعهم بإحسان، فالله سبحانه فضله كبير واسع، فمثلما أعطى صحابة رسول الله ﷺ يعطيهم، والباب مفتوح لكل طالب. {**..الْحَكِيمُ**}: يعطي كل إنسان ما يستحق بالحكمة.

٤ـ

{**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ..**}: عطاء الله لك. {**..يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ..**}: يعطي الله لمن سلك بطريق الحق بصدق من عباده، يعطي الله لمن أراد العطاء من عباده، كل إنسان شاء، وعلامته أنه ترك الدنيا وطلب الله والحق وسلك الطريق طريق الإيمان، طبقه بالتمام من تفكير بالموت إلى التفكير بالآيات الكونية هذا يعطيه الله ويجمعه برسوله. {**..وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**}: للكل، خلقك لهذا ليتفضل عليك بعطائه وجنته، فضله واسع عظيم وكل من طلب أعطاه من فضله.

٥ـ

{**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ**}: حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ: آخرون حَمَّلوهم إياها، هؤلاء عندهم الأهلية حملوها ولم يحملوها، حفظوا ألفاظها ولم يعقلوها بقلوبهم، جاءهم من حمّلهم إياها لكنهم ضيَّعوها، ما شاهدوا معانيها لأنهم ما آمنوا، أصبح حالهم كالجندي نزل ساحة القتال بلا سلاح، حاله خطر. {**..ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا..**}: فلم يفقهوا منها شيئاً، حفظوا الكلام وما فهموا المعنى. {**..كَمَثَلِ الْحِمَارِ..**}: الحمار كالذي يحوم حول شيء ولا يراه، هؤلاء كالحمار لا يستفيد من حمله الكتب شيئاً، مثل بشع لكن هذه حقيقتهم. {**..يَحْمِلُ أَسْفَارًا..**}: بيانات وكتب. {**..بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ..**}: سيعود عليهم هذا الشيء بالبؤس العظيم والندم لأنهم ما آمنوا بها، هؤلاء حالهم خطر إن ما آمنوا بلا إلَه إلا الله

تأخذهم الدنيا وتسحبهم للشهوات واللذائذ، لو آمنوا ما وقعوا بالشهوات. كذلك حال من حفظ ألفاظ القرآن ولم يطبق ما فيه ويشاهد معانيه. {**..وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}: ظلموا أنفسهم بعدم إيمانهم، جاء من أرشدهم ودلَّهم لكن ما آمنوا، هؤلاء لا يهديهم الله لأن الهداية لمن يطلبها ويسعى لها، وهؤلاء ما طلبوا ولم يسعوا لها، فكيف يهديهم الله، حالهم كمريض لم يذهب للطبيب فهل يخلص من علته ويشفى من مرضه؟ يهديهم الله عندما يتجهون إليه سبحانه وذلك بالسعي والتطبيق وجهاد الهوى والنفس.

٦ -

{**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا..**}: اليهود وكل من سار بسيرهم واتَّبعهم. {**..إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ..**}: ادعيتم وزعمتم أنكم أولياء الله وشعبه المختار وأنكم أهل إرشاد تدلُّون الناس على الحق، وكذلك نحن الآن. إن كان زعمكم هذا صحيحاً: {**..فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ..**}: المؤمن يتمنى الموت ويحبه، يحب لقاء الله {**..أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} *سورة الرعد: الآية (٢٨)* البعيد عن الله يخاف الموت ولقاء ربه. {**..إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**}: بادِّعائكم هذا. وهذا مقياس حقيقي منه يعرف الإنسان نفسه وحاله وإن كان سيره على حق أو على باطل.

٧ -

{**وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا..**}: لأنهم يخافون العذاب والعقاب بسبب أعمالهم الدنيئة، هؤلاء يختلفون عن المشركين الذين أنكروا وجود الله، المشرك لا علم له بشيء عن الآخرة، لا يحسب للموت حساباً، أما هؤلاء فقد أقروا بفكرهم بالجنة والنار والسؤال والحساب لكن شهوتهم غالبة عليهم لذلك يخافون من الموت، ويودُّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة، يحرصون على الحياة الدنيا ويكرهون لقاء الله بسبب أعمالهم المنحطة. {**..بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ..**}: من أعمال خبيثة، هؤلاء كمن يزعم أنه يدل الناس إلى الحق ويرى ما في نفسه من خبث وانحطاط فلا يتمنى عندها لقاء الله. {**..وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**}: ظلموا أنفسهم، تركوها جاهلة، ما آمنوا بلا إلَه إلا الله بدءاً من التيقن بالموت فالنظر بالآيات الكونية، والله سبحانه عليم بهم وبما يناسبهم من علاج.

٨ -

{**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ..**}: ليس من الموت مفر وإنه ملاقيكم فلا مخلص لكم منه، ما من إنسان استطاع وهرب من الموت، فتدارك أمرك أيها الإنسان قبل أن تقع فيه ولا ينفعك ندم. {**..ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى..**}: الله. {**..عَالِمِ الْغَيْبِ..**}: يعلم الله الماضي والمستقبل، ما جرى وحدث وما سيحدث. {**..وَالشَّهَادَةِ..**}: ما يجري الآن في الدنيا من أحداث وأعمال نحن نشهدها. {**..فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}: مهما أخفيت ما في نفسك أيها المعرض عن ربك فالله سبحانه عليم به ومشاهده، الله سبحانه لا يغيب عنه شيء ولا ينسى، وغداً سينبّئك بهذا وسترى أعمالك أمامك ماثلة: {**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**} *سورة الحاقة: الآية (١٨)*.

٩ ـ

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ..**}: رسول الله ﷺ ينادي إلى صلاة الجمعة ويحدِّد الدرس ومن بعده المرشدون الصالحون. {**..مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ..**}: وسرُّ صلاة الجمعة في الخطبة لما فيها من الهدى والإرشاد، يجتمعون مع رسول الله ﷺ ومن بعده مع المرشد الصادق ليتلقوا العلوم والمعرفة وينطبع فيهم الحق، المؤمن يحضر الدرس ولا يضيّع صلاة الجمعة حيث الإمام والخطيب يوضح أموراً وأشياءً ويعمل على حلِّ كل المشاكل في المجتمع، وقد كان رسول الله ﷺ يلقي الخطبة ومن بعده الخلفاء ومن بعدهم أولي الأمر من المسلمين والخليفة. {**..فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ..**}: السعي هنا إيماني بأن يهيئ المؤمن نفسه ويسعى للوصول إلى الإيمان حيث يوم الجمعة يختلي بنفسه ويفكر بالآيات حتى يحين موعد الدرس. السعي اليوم الذهاب باكراً للمرشد الحق "منذ الشباب"، الصادق بطلب الحق يفتش عن مرشد صادق، المرشد الحق هو الذي يوصل مريده إلى الله ورسوله هذا مرشد صادق. الإرشاد بتكليف من الله والرسول، المرشد الصادق هو من كلَّفه الله ورسوله بالإرشاد، هذا يستطيع أن يوصل مريده إلى الله ورسوله ويريه الأنوار الإلَهية وأسماءه تعالى الحسنى. {..وَذَرُوا الْبَيْعَ..}: دعوا كل شيء من أمر الدنيا، اتركوا الدنيا وما فيها واذهبوا لحضور الدرس يوم الجمعة. {**..ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ..**}: هذا الحضور فيه خير كبير لكم. {**..إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}: لا إلَه إلا الله، إن آمنتم تفعلون هذا وترون الخير الدائم بحضوركم درس صلاة الجمعة.

١٠ ـ

{**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ..**}: حصلت لكم الرابطة برسول الله ﷺ وصارت لكم الصلاة الحقيقية مع الله باجتماعكم مع الإمام وسماع درسه، بعدها إن فعلتم وطبقتم ما أرشدكم به رسول الله ﷺ تكونون قد هيأتم أنفسكم للخير العظيم من الله. {**..فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ..**}: وعودوا إلى ما يتلى عليكم من الحق حتى تدلُّوا غيركم على الإيمان والتقوى، لهذا خلقكم الله، كذلك أعيدوا الدرس على أنفسكم وعلى غيركم، تذاكروا ما تلي عليكم من الحق منيبين وبذلك ترقون رقياً كبيراً حيث يحدث في النفس بهذا التذاكر شيءٌ عظيم، اليهود بزمن سيدنا موسى كانوا يحضرون الدرس يوم الجمعة، ويوم السبت ينقطعون عن العمل ويتذاكرون الدرس مع بعضهم ويتكلمون عن كمالات رسولهم. {**..وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ..**}: كل ما لله على الناس من فضل وكذلك البيع والشراء. لكن الشرط ألا تنقطعوا عن الله، الله تفضل عليكم فلا تنقطعوا عنه وعن تذكر الرسول الكريم أو الإمام المرشد. {**..وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}: اذكروا فضل الله عليكم وأسماءه الحسنى، تذاكروا بها حتى تشاهدوها، اسعوا لهذا، إن وصلتم وشاهدتم أسماءه سبحانه تصبحون علماء حكماء، إن ما فعلتم هذا غلبت الدنيا في قلوبكم على الآخرة وانقطعتم عن الله عندها يأتي الشيطان ويوسوس لكم بالشهوات، عندها لابد من الشدائد للتطهير والإقبال، إن لم تطهر نفسك بالدنيا سوف تأتي الشدائد والأهوال في القبر، وفي الآخرة النار.

١١ـ

ولكن الذين نافقوا: {**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا..**}: ظلُّوا منصرفين إليها وتركوك وأنت تخطب. إذا رأوا شيئاً من مشتهياتهم من الدنيا انشغلوا بها وانقطعوا عن الرسول أو المرشد، هذا حال المنافق إذا جاءته الدنيا ينفض إليها بالكلية وينسى. {**..وَتَرَكُوكَ قَائِمًا..**}: وأنت تدعوهم، قائماً بالدعوة والإرشاد إلى الله، رسول الله ﷺ جاء الدنيا ليهدي الأمم ويخرجهم من الظلمات والضلال إلى النور والسعادة وينقذهم من النار، وكذلك أصحابه يجب أن يسلكوا سلوكه. {**..قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ..**}: ما أعدَّ الله لك أيها الإنسان من عطاء خيرٌ من هذه الدنيا وما فيها. {**..وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**}: بإقبالك عليه وصلاتك ينطبع بنفسك الحق فيرزقك أعمالاً صالحةً تدخل بها الجنة وترقى، عندها يعطيك الدنيا من وجه عالٍ، ويرزقك المال والعزَّ والجاه والصحة لتعمل خيراً وتعود غداً لربك بوجه أبيض فيمنحك الجنات.

والحمد لله رب العالمين

تأويل سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ

{**إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ..**}: هؤلاء المنافقون رغم نفاقهم كانوا يأتون مجلس رسول الله ﷺ ويحضرون درسه حيث لهم بالماضي سوابق إيمانية، حدث لهم فيها أحوال وأذواق ومشاعر، بالبداية عندما دعاهم رسول الله ﷺ للإيمان ساروا بقوة، طبَّقوا وقدَّموا أعمالاً صالحةً إلا أنهم ما أكملوا إيمانهم ليصلوا إلى الإيمان الشهودي بلا إلَه إلا الله، وقفوا عند درجة معينة ثم كفُّوا عن الجهاد، جهاد النفس، وظنوا الصعوبة في سلوك طريق الإيمان، وهو غير صعب، بعدها صاروا يتراجعون عن إيمانهم شيئاً فشيئاً، وعندما أقبلت عليهم الدنيا انكشف حالهم ونفاقهم وغيَّروا طريقهم وتحولوا عن الله ورسوله ووقعوا بالنفاق.
{**..قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ..**}: نعرف أنك رسول الله. ذلك بما كانوا يشعرون به من مشاعرٍ عاليةٍ وأحوالٍ وأذواقٍ، لذلك أمام رسول الله ﷺ يقولون نشهد بأنك رسول الله.
{**..وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ..**}: هو سبحانه يُعرِّف الخلق بالأنبياء ويكشف حالهم العالي وكمالهم للمؤمنين بما يضع في قلوبهم من نورٍ يرون به حقيقة رسول الله ﷺ السامية وذلك من بعد أن آمنوا بلا إلَه إلا الله، وهؤلاء المنافقون ما آمنوا إيماناً ذاتياً شهودياً فما صار لهم نور من الله ليكشفوا به حقيقة رسول الله وأنواره، مالم يؤمن الإنسان بربه إيماناً شهودياً لا يعرف النبي ولو عاش معه سنوات طويلة. {**..وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**} *سورة النور: الآية (٤٠)*. لذلك قال تعالى: {**..وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**}: لم يقل سبحانه عن المنافقين كذّابون ولكن قال (**لَكَاذِبُونَ**) لأنهم تراجعوا ولم يكملوا إيمانهم ليصلوا إلى الإيمان بلا إلَه إلا الله وإلى النور ويشاهدوا حقيقة رسول الله ﷺ، عرفوا فقط ولم يشاهدوا؛ بعدها تراجعوا حتى وقعوا بالنفاق.

٢ ـ

{**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً..**}: خداعاً ومكراً، هؤلاء المنافقون يظهرون بمظهر المؤمن العابد أمام المؤمنين، يتكلمون ويمدحون رسول الله ﷺ ليخدعوا ويمكروا بالمؤمنين وليفرقوهم عن رسول الله ﷺ، صارت نواياهم خبيثة بنفاقهم. {**..فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..**}: صاروا يبعدون ويصدون الناس عن الحق وهم لاحقون هواهم، يريدون الدنيا أن تكون على حسب هواهم. {**..إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}: بانقطاع نفوسهم عن الله والرسول صاروا يعملون السوء، لكن الله سبحانه وتعالى رحيم بهم لا يتركهم بل يضيّق عليهم ليعودوا للحق، هؤلاء المنافقون بالماضي آمنوا ولهم أعمال طيبة وتشرَّبوا شيئاً من الحق من خلال رسول الله ﷺ وعندهم قابلية للتغيير والإيمان لذلك لا يتركهم الله تعالى بل يعالجهم بما يرسل لهم من أمراض ومصائب وبلاءات ليعودوا للحق، إن عادوا وآمنوا رفع الله عنهم كل ما يسوؤهم وارتفع شأنهم.

٣ـ

{**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا..**}: آمنوا بأن لهذا الكون خالقاً ولكنهم كفروا إذ اعتقدوا أنه بعيد عنهم غائب عنه مّا يفعلون، بالماضي سعوا وقدَّموا أعمالاً صالحةً. {**..ثُمَّ كَفَرُوا..**}: بعد إيمانهم، ذهبوا لدنياهم ومشتهياتهم وأهوائهم، تركوا السعي للإيمان فابتعدت نفوسهم خجلاً عن رسول الله وبهذا وصلوا للكفر. {**..فَطُبِعَ..**}: الكفر. {**..عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**}: من بيان الله شيئاً، قلوبهم لاهية ساهية بدنياهم، لا يفقهون شيئاً من القرآن، لذلك يرسل الله لهم المصائب من مرض أو فقر أو ذل لتترك نفوسهم الدنيا الدنيّة، وبعدها يستطيعون السير بالحق.

٤ـ

{**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ..**}: يا محمد ﷺ. {**..تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ..**}: الله سبحانه عليم بهم من الأزل وبما في نفوسهم من إعراض وشهوات منحطة وبما يناسبهم في الدنيا، لذلك أعطاهم أجساماً وأشكالاً جميلة كانت تعجب رسول الله ﷺ، لأن هؤلاء المنافقون إن ساروا بالحق وآمنوا بالله يصبح لهم تأثير قوي على الناس بأشكالهم وجمالهم فيستطيعون جذبهم إلى الحق والإيمان. رسول الله ﷺ أدرك ما للجمال من تأثير على الناس لذلك أرسل سيدنا مصعب بن عمير ذلك الإنسان التقي إلى المدينة المنورة، واستطاع مصعب جذب أهل المدينة بروحانية رسول الله ﷺ إلى الإيمان فآمنوا، وكان له تأثير كبير عليهم بتقواه وبجماله وأناقته. {**..وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ..**}: من رحمته ﷺ وحرصه عليهم كان يسمع لهم، يتكلمون بمجلسه ويتفاخرون ويزاودون عن أعمالهم أمام رسول الله ﷺ ويضيّعون الوقت الثمين. من آداب مجلس رسول الله ﷺ ألا يتكلم أحد، لأن العلم والأنوار والتجليات من مشكاته ﷺ، فإذا تكلم أحد آذى المؤمنين وحرمهم من الوجهة لرسول الله ومن هذه العلوم والأنوار، إلا إذا سمح ﷺ بالكلام، عندها إن تكلم المؤمن فلا يقع لوم أو إثم عليه، هؤلاء المنافقون موصولون بخيط من عنكبوت مع الرسول وإذا أظهر لهم الرسول شيئاً من عدم المبالاة بحديثهم أو لم يسمع لهم عندها ينقطعون عن مجلسه، لذلك كان ﷺ يسمع لهم لشدة رحمته بهم علّهم يعودون للحق. {**..كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ..**}: حالهم كالخشب الذي يُقطع من الشجر ثم يبنى به فهو فاقد للحياة لن يكبر ولن يعرض، وهؤلاء المنافقون كالنفق فارغون لا حياة بقلوبهم مُسنَّدون من قبل رسول الله ﷺ بما يعاملهم به من رحمة وبشاشة لئلا يستحوذ عليهم الشيطان بالكليَّة فيقطع خيط العنكبوت الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ والذي به تحصل لهم أحوال سامية معه ﷺ وما أن يخرجوا من مجلسه ويروا مشتهياتهم حتى ينسحبوا إليها وينسوا تلك الأحوال السامية التي يرفدهم بها رسول الله ﷺ في مجلسه الشريف، فهم مُسنَّدون بالرسول بما يغمر نفوسهم من أحوال وأنوار. {**..يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ..**}: لما فيهم من خيانة ومعاصٍ ومخالفات لرسول الله، المنافق يظن كل حديث عليه ويقول في نفسه لقد كشف أمر نفاقي أمام المؤمنين وفُضحت أسراري. علماً أنه ليس لأحد من المؤمنين علم بهم، فالرسول لا يفضحهم بل يستر عليهم، لا يفضحهم إلا إذا بدؤوا بأذى المؤمنين وهم يصرُّون على ما

فعلوا عندها يكشفهم ﷺ رحمة بهم لإيقاف شرورهم وأعمالهم، ورحمة بالمؤمنين لئلا يُخدعوا بهم ويتأثروا بمكرهم فينقطعوا عن مجلسه ﷺ. **{..هُمُ الْعَدُوُّ..}:** لك ولله. {..**فَاحْذَرْهُمْ..**}: من أجلهم لئلا ينقطعوا عن مجلسك ويصبحوا أعداء وبهذا العداء لا يبقى هناك أمل في نجاتهم، كذلك خذ حذرك منهم من أجل المؤمنين الذين معك لئلا يؤثِّروا عليهم. {..**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ..**}؟... لماذا هذا الإعراض إذ هل قاتلهم الله؟. المنافقون قبل اجتماعهم مع رسول الله ﷺ كانوا تحت العلاج من رب العالمين حناناً ورحمة بهم، كانوا بالأمراض والفقر والذل، والله رفع شأنهم وأعطاهم وأغناهم بعد اجتماعهم مع رسول الله، فهل قاتلهم الله؟!. {..**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ..**} *سورة التوبة: الآية (٧٤)*. ورغم ما وصلوا إليه من نفاق إلا أنه سبحانه وتعالى لم يغلق الباب أمامهم لحضور مجلس رسول الله ﷺ الكريم، وهناك تتأثر قلوبهم بما لهذا المجلس العظيم من قدسيَّة وجلال فيتوبون ويعاهدون الله على الاستقامة وعدم مقارفة الحرام ومخالفة رسول الله ﷺ، ولكن وما أن يخرجوا من مجلسه حتى تجذبهم الدنيا وشهواتها من نساء وأولاد وأموال وغيرها. {..**أَنَّى يُؤْفَكُونَ**}: إلى أي شيء يتحوَّلون! مع النبي يكونون بحال عالٍ ثم بعد خروجهم من عنده ﷺ يتحوَّلون عنه ويصبحون بحال دنيء!. كيف تحولوا من الإيمان إلى النفاق وبعضهم إلى الكفر! وتحولوا عن محبة رسول الله ﷺ إلى عداوته وبغضه، لقد تحوَّلت قلوبهم عنه ﷺ رغم ما وصلوا إليه من حال عالٍ ومشاعر وأذواق بمجلسه الكريم ﷺ.

٥ـ

{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ..**}: يدلُّكم ويرشدكم إلى الحكم الصحيح ويحكم بالحق في اختلافكم مع غيركم، إن وقعوا بخلاف مع غيرهم فالرسول يحكم بالحق ولو كان عليهم مهما تكن النتائج، استغفار رسول الله ﷺ لهم حال من الأحوال النفسية، فالرسول ﷺ خليفة الله يصب الله تعالى على قلبه الأنوار والتجلِّي الأعظم، وهو ﷺ يتوجَّه لنفوسهم بهذا النور فيعيشون بحال عالٍ ويسعدون. لكن هؤلاء المنافقين كما أن النفق فارغ كذلك قلوبهم فارغة من الكمال، فإن هم ما تابوا وغيَّروا وطبَّقوا ما يأمرهم به الله ورسوله فلن يستفيدوا شيئاً من استغفار رسول الله لهم. {..**لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ..**}: لا يريدون ترك الدنيا وشهواتها مصمِّمين على المعاصي والانحطاط. {..**وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ..**}: عن الحق. {..**وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**}: عن طاعة الله ورسوله وحكمه ﷺ.

٦ـ

{**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ..**}: مهما استغفرت لهم لا يستفيدون ولا يغيّرون. {..**أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ..**}: إذا هم ما طبقوا وسلكوا القانون الذي وضعه الله لهم وللبشرية وساروا بطريق سيدنا إبراهيم عليه السلام من التفكير بالكون حتى يصلوا للإيمان بلا إلّه إلا الله لا يستفيدون، إن لم يسيروا بهذا فلن يستفيدوا شيئاً. {..لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ..**}**: لن تشفى نفوسهم إلا بالإقبال على الله، وهم ما أقبلوا ولا يريدون الإقبال فكيف تشفى نفوسهم مما

بها من نفاق وشهوات منحطة. {..إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}: الله لا يهديهم بسبب إصرارهم على فسقهم وخروجهم عن الحق.

٧-

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ..}: المنافقون طلبهم الدنيا والمال والله أعطاهم ما يريدون، أرادوا المال وطلبوه فأعطاهم وأصبحوا من أصحاب الأموال فقالوا فيما بينهم: {..لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا..}: لا تنفقوا على المؤمنين الذين مع رسول الله. المؤمنون لا يعطيهم الله في بداية سيرهم بالحق ولا يوسع عليهم بالمال لئلا ينشغلوا بالدنيا والأموال عن إيمانهم، هؤلاء المنافقون قالوا لا تعطوا ولا تتصدَّقوا وتدفعوا أموالكم وبهذا ينفض المؤمنون عن رسول الله ﷺ ويتركوه. {..وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..}: هو سبحانه أغنى الغني وأفقر الفقير بيده كل شيء، هو الفعّال المسيّر المتصرِّف، هو رزقكم الأموال وأفقر المؤمنين بادئ ذي بدء لحكمة. {..وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ}: من أفعال الله شيئاً، لا يعرفون الحكمة ولا يعرفون أن الله هو سبحانه الرزاق إن شاء رزق المؤمنين وأعطاهم لكن رحمة بهم لا يعطيهم الآن لكيلا ينشغلوا عن إيمانهم وتسحبهم الدنيا وشهواتها.

٨-

{يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ..}: يخرج المهاجرون الأنصار، ليوقعوا الفتنة والتفرقة بين المؤمنين. قالوا: أهل مكة المهارجون هم أصبحوا أصحاب الحكم والأمر، فهم الأعزاء حيث رسول الله ﷺ هو الحاكم وهو منهم، وغداً الأنصار لن يكون بيدهم شيء فيكونون أذلّاء، فغداً يخرجوننا من المدينة. يريدون بذلك أن يفشوا الشقاق في صفوف المسلمين. {..وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ..}: الله تعالى يردّ على هؤلاء المنافقين أن لا فرق بين المهاجرين والأنصار، فكل من آمن رفع الله شأنه فليؤمنوا فيرفع الله شأنهم. {..وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}: هذا. لا يعلمون أن الإيمان يرفع شأن الإنسان.

٩-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ..}: لا تشغلكم الدنيا وما فيها من أموال وأولاد ومناصب وسلطان ولذائذ مادية عن ذكر الله، فكل ما فيها "كل ذلك" لهوٌ باطلٌ وظلٌّ زائلٌ عنكم أيها المؤمنون. {..عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ..}: لا تشغلكم الدنيا عما جاءكم من بيان عالٍ ودلالة على الله، ولا عن إيمانكم وأعمالكم الطيبة وعن معرفة الله وأسمائه الحسنى والفوز بالجنة والسعادة. {..وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ..}: منكم أيها المؤمنون. {..فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}: بالتفاتكم للدنيا تعرضون عن الله فلا تعملون صالحاً، وبهذا الإعراض وعدم فعل الصالحات تضلُّون وتخسرون الجنة التي أعدَّها الله لكم، تخسرون مشاهدة وجه الله الكريم خالق الجمال ومبدعه وبهذا خسارة لكم لا تعدلها خسارة.

١٠-

{**وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ..**}: اعملوا الخير والمعروف، بعمل المعروف يصبح للنفس وجهٌ أبيض حيث تعرف أن الله راضٍ عنها فتستطيع أن تقبل على ربها، إن أقبلت تدخل الجنة، بلا عمل لا يدخل الإنسان الجنة. {**..مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي..**}: يتمنى لكن لا فائدة من تمنيه فلا تأخير له. {**..إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ..**}: فأعمل صالحاً. {**..وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**}: لعطائك وجنتك.

١١-

{**وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا..**}: ملك الموت معكم فمتى جاء الأمر من الله بالموت يقبض الروح ويسحبها من الجسم، الروح تسري في الجسم عبر الدم، يقوم الملك بسحبها تدريجياً من القدمين فتبرد، والنفس تلتجئ إلى مكان فيه حرارة فتنسحب مع الروح وهكذا حتى تصل الحلقوم عندها توقن النفس بالموت ويحدث النزاع، النزاع معناه أن النفس لا تريد الخروج من جسمها لأنها تشاهد مصيرها المرعب وحالها، عندها تؤمن بالله وينكشف الغطاء عنها، فتشاهد حقيقة أعمالها وأنها لم تهيئ عملاً صالحاً لحياتها الجديدة، فلا نور لها ولا طعام ولا شراب بعد الموت ولا أصدقاء، وعند خروجها من الجسد تهوي من هذه الأكوان المادية كلها بالظلام، حيث لا بصر لها ولا سمع: {**..وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**} *سورة الحج: الآية (٣١)*. ذلك اليوم يوم عسير، على الكافرين غير يسير، وبعد أن تهوي ترجع النفس لجسدها في القبر، ولرحمة الله بهذا الإنسان العاصي يرسل له بقبره ملكاً بصورة حنش أقرع فيحدث للميت رعب رهيب يعالجه الله به إلى يوم القيامة حيث يسلِّيه فينسيه حاله الجهنمي. عكس حال المؤمن فبمجرد موته تتوسَّع نفسه بالله وتُسكب عليه الأنوار والسعادة فلا يتمنى الرجوع للدنيا أبداً بسبب ما يناله من ربه من عطاء إلٓهي وسعادة وسرور وجنة. {**..وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}: يعلم عملكم وما يلزمه من مداواة، له سبحانه خبرة بعملك ويعطيك العلاج المناسب لك. فكل ما يصيبك علاج لنفسك أيها الإنسان، إن أصابتك مصيبة لا تحزن ولكن ابحث عن السبب الذي جاءك بالمصيبة وأزله يخلصك الله منها.

والحمد لله رب العالمين

تأويل سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ

{**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..**}: الكل محتاج لفضله تعالى ولِمَا يمدهم الله به، كل ما في السموات والأرض مسيّر بعلمه وقوته ورحمته سبحانه والكل يسبح بفضله. {**..لَهُ الْمُلْكُ..**}: مالك كل شيء، حتى روحك وجسمك بيده سبحانه، إن توقف قلبك لا تستطيع تحريكه والموت مصيرك، وليس لك أيها الإنسان من سيطرة على شيء، لكن لك الاختيار، هو سبحانه وتعالى أعطاك وملَّكك إياه، فإن أعدته له باختيارك رجع عليك هذا بالخير والعطاء والسعادة ولك الجنة. {**..وَلَهُ الْحَمْدُ..**}: على كل ما يسوقه لهذا الإنسان، كل أفعاله سبحانه يُحمد عليها إن أعزَّ أو أذلَّ وإن أمرض أو شفى، المؤمن بلا إلَه إلا الله يرى هذا في الحياة الدنيا ويحمد الله، الكافر لا نور له، يعترض ويقول لمَ فعل الله هذا! ينسب الظلم والقسوة لله، لكن غداً يوم القيامة حين تنكشف الحقائق يحمد الله على كل ما ساقه إليه. {**..وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}: له الهيمنة والسيطرة على ملكه، لا شيء يقف أمام حكمه وهو سبحانه الممدّ لهم بالقدرة والحياة ومتجلٍّ على مخلوقاته كلها بالسير والحركة.

٢ ـ

{**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ..**}: جميعاً، خلقكم من آدم عليه السلام ، ألا تفكر بهذا أيها الإنسان! ما أصلك، كيف صار الثمر والطعام نطفة؟ ثم أصبحت هذه النطفة إنساناً، ألا يدل هذا على وجود خالق خَلَقَ ومربٍّ ربَّاك ومسيِّر، فكر بهذا لتصل إلى الإيمان. {**..فَمِنْكُمْ..**}: أيها الخلق. {**..كَافِرٌ..**}: منكم من سار بالكفر وصار كافراً، حيث ما فكَّر بفضل الله عليه. {**..وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ..**}: ومنكم من فكر بالكون وآياته، بالشمس والقمر، رأى فضل الله عليه وآمن بلا إلَه إلا الله وانطبع فيه الكمال وأحبَّ رسول الله ﷺ فآمن به وشهد أن محمداً رسول الله. الاختيار لك أيها الإنسان، الله بيَّن لك كل شيء، وجعل لك قانوناً إن سرت عليه صرت مؤمناً، إن سرت برأيك وما طبقت صرت كافراً. {**..وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}: بصير بعباده، مشاهد أحوالهم وأعمالهم ويعاملهم بما يناسبهم، ويعطي كلاًّ من الكافر والمؤمن حقه وما يستحق.

٣ ـ

{**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ..**}: كله ضمن أنظمة وقوانين، أما هي كافية لأن تدلك على الله، ألا تفكِّر بهذا، كل ما في الكون ضمن نظام وأنت أيها الإنسان أما وضع لك نظاماً تسير عليه! خلق الله هذا الكون ليس لعباً بل بالحق لتفكر وتؤمن بربك، كله آيات دالة على عطف وحنان وإحسان الله لعباده، إن فكر الإنسان استعظم ربَّه وآمن به، لأجل هذا خلقك الله؛ بالحق وليس للأكل والشرب كالحيوان. {**..وَصَوَّرَكُمْ..**}: ألبس كل نفس

جسدها المناسب لها، جعل منكم ذكراً وأنثى، ولكلٍّ صورته من شكل وطول ولون وبحسب ما تقتضي الحكمة. {**..فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ..**}: ما جعلك منحطّاً كباقي الكائنات، وهبك فكراً وأعطاك ملكات وأعطاك الاختيار لتسير بالحق والفضيلة وتشاهد أسماءه الحسنى، بهذا أحسن إليك وبهذا كمالك. {**..وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**}: مصيرك إليه تعالى، رجوعك إليه.

٤ـ

{**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..**}: إن فكرت أيها الإنسان وآمنت بلا إلّه إلا الله وصار لك بصيرة ونور منه تعالى رأيت أن الكون كله سائر بعلم الله، وكل ما يقع فيه كله بعلمه سبحانه. {**..وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ..**}: كذلك ما من خاطر يقع بنفسك إلا وهو معلومان عند الله، فلا تضع بنفسك غِلاًّ ولا حسداً. {**..وَمَا تُعْلِنُونَ..**}: من أعمال قمتم بها. سرُّك وعلانيتك معلوم عند الله وعلى حسب ما بنفسك يسيِّرك الله ويسوق لك ما تستحق. {**..وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**}: عليم بنفسك وما استقرَّ فيها، أطعه تُشفَ مما بك وتنل الخيرات.

٥ـ

{**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ..**}: قوم نوح وثمود وعاد وقوم لوط أما سمعتم ماذا حلَّ بهم، كذلك كم جاءت أمم ممن سبقونا وكفروا فماذا حلَّ بهم؟ وأين هم الآن أين من سكن دارك قبلك؟ أين الملوك والرؤساء؟ كم ناداهم الله للإيمان ودعاهم للجنة والسعادة فما استجابوا فخسروا الدنيا والآخرة! {**..فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ..**}: رجعت عليهم أعمالهم بالهلاك. {**..وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}: على ما عملوا من أعمال سيئة وما قاموا من إجرام وما ارتكبوا من فواحش، هؤلاء النار لهم غداً يوم القيامة.

٦ـ

{**ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ..**}: هذا الذي يجعلهم غداً يطلبون النار ويرمون بأنفسهم فيها؛ أرسل الله لهم رسلاً دلُّوهم على الإيمان وبيَّنوا لهم كل شيء لسعادتهم لكن كذَّبوا وما آمنوا. {**..فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا..**}: شاهدوهم كغيرهم من البشر فتعالوا وتكبَّروا على رسلهم، ما عبؤوا بهم ولا بدلالتهم وما ساروا معهم، لو عبؤوا لطبقوا دلالتهم. {**..فَكَفَرُوا..**}: هذا الشيء أوصلهم للكفر وإلى محبة الدنيا. {**..وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ..**}: هل استغنى الله عنهم مع أنه غني عنهم؟ لا لم يستغن عنهم رغم ما فعلوا، لم يتركهم فلقد عالجهم بالدنيا وسيعالجهم في القبر وفي الآخرة. {**..وَاللَّهُ غَنِيٌّ..**}: خيراته وجناته دائماً بازدياد، وغناهم منه سبحانه وتعالى، الله خلق لهم جنات وأفاض عليهم من غناه لكن هم ما أخذوا، وغداً يشاهدون ما خسروا فيندمون. {**..حَمِيدٌ**}: حميدةٌ كل فعاله، كل ما يسوقه للإنسان يحمد عليه.

٧-

{**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا..**}: أنكروا الآخرة والبعث والسؤال، قالوا من مات وعاد للدنيا وأخبر عن الآخرة؟ كل هذا لا أصل له، قالوا إن الإنسان بعد الموت يصبح تراباً ولا رجعة له بعدها. {**..قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ..**}: الرسول الكريم ناقشهم بالمنطق، قال لهم أنتم أصلكم من تراب والله خلقكم من تراب فلم تنكرون خلقكم وبعثكم منه مرة ثانية؟! {**..ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ..**}: ستشاهدون أعمالكم السيئة، حيث أنهم ما آمنوا أنكروا الآخرة فصارت الدنيا مطلبهم، والطريق لنوالها بالغش والكذب والإجرام والقسوة، لذلك انحطَّت أعمالهم، فلا إنسانية عندهم، وغداً سينبَّؤون بما عملوا من سوء وسينالون الجزاء عليه. {**..وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**}: سهل على الله إعادتكم وخلقكم مرة ثانية من تراب.

٨-

{**فَآَمِنُوا بِاللَّهِ..**}: اجتهد أيها الإنسان لتصل للإيمان بلا إلَه إلا الله، خلقت لأجل هذا، إن ما آمنت بلا إلَه إلا الله لا جدوى لك مهما فعلت وستلحق الدنيا وتقع بشهواتها، انظر للكون ولنفسك كيف حصلت التربية، إن فكرت بهذا استعظمت ربك وآمنت. {**..وَرَسُولِهِ..**}: إن آمنت بالله آمنت برسوله. {**..وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا..**}: إن آمنت برسول الله حصلت لك التقوى، أي: ارتبطت نفسك به ﷺ برابطة المحبة والتقدير، عندها تشاهد نوره ﷺ، وبنوره ترى طريق سعادتك فتعمل الخير وتنال عليه الأجر العظيم من الله. {**..وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}.

٩-

{**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ..**}: يجمعكم الله أيها الخلق جميعاً، يجمع ذرات أجسادكم من الأرض بعد أن أصبحت تراباً، يجمع الجسد وينفخ فيه الروح وتأتي كل نفس وتحيط بجسدها، وبهذا جمعٌ للجسد والروح والنفس مع بعضهم بعضاً من بعد أن تفرَّقوا، وعندها تجتمع الخلائق كلها. {**..لِيَوْمِ الْجَمْعِ..**}: ليوم الحساب والجزاء على الأعمال، تجمع بهذا اليوم كافة جموع الخلائق. {**..ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ..**}: بهذا اليوم يرى كل واحد حصيلة عمله، حيث تنكشف الحقائق فيرى كل كافرٍ كيف غبن نفسه وغبن غيره، أي: يرى كيف خدع نفسه وغرَّرها بالدنيا والتهى بشهواتها وملاذِّها وما عرّفها على ربها، بالآخرة يرى حقيقة الدنيا، ظنها فيها الحياة والسعادة فإذا هي ليست بذلك، والحياة والسعادة منه سبحانه وتعالى، يرى كيف خدع غيره كما خدع وغشَّ نفسه، فالكافر بحبه للدنيا وكفره يتمنى أن يكون الكل مثله ويعمل من أجل هذا. {**..وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ..**}: كل من فكر وآمن بلا إلَه إلا الله هذا يصبح له نورٌ من ربه، بهذا النور يرى الخير خيراً والشر شراً، فهذا ما غبن نفسه وخدعها ولم يخدع غيره، والدنيا وما فيها من فتن لا تستطيع أن تخدعه. {**..وَيَعْمَلْ صَالِحًا..**}: المؤمن يعمل صالحاً، وبعمله الصالح: {**..يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ..**}: يمحي الله له سيّئاته الماضية، يشفي نفسه بالنور فلا يعود هذا المؤمن يرى غير ما عمل

من خير، فكل ما يسوء الإنسان ويزعجه يمحوه الله له من نفسه فلا يراه، لأن الإنسان في الآخرة إذا رأى شيئاً من سيئاته يخجل من ربه فلا يستطيع أن يقبل عليه، والجنة بالإقبال على الله. {**..وَيُدْخِلْهُ..**}: بما قدَّم من أعمال صالحة. {**..جَنَّاتٍ..**}: يتنقل بالجنات من جنة لجنة أعلى وهو بشهود لحضرة الله، فهذا المؤمن الذي آمن وعمل صالحاً دائماً نفسه تتنقَّل من شهود لجمال الله سبحانه وتعالى إلى شهودٍ أعلى وأعلى إلا مالا نهاية، فالجنة هي مشاهدة وجه الله الكريم خالق الجمال ومبدعه ولا عجب، {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**} سورة القيامة: الآية (٢٢-٢٣). {**..تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..**}: كل ما خلق الله سبحانه باقٍ لا يزول، أي عدم لا يكون، ففي الجنة يتمتَّع المؤمن بالخيرات المادية تجري على نفسه أنهاراً: {**وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} *سورة البقرة: الآية (٢٥)*. {**..خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..**}: إلى مالا نهاية. {**..ذَلِكَ..**}: أيها الإنسان اطلبه واسعَ للوصول إليه، ولن تصل لهذا إلا بالإيمان بلا إلّه إلا الله والعمل الصالح. {**..الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}: إن آمنت بلا إلّه إلا الله وعملت صالحاً تفوز فوزاً عظيماً، تنال ما أعدَّه الله لك في الآخرة من فضلٍ وعطاءٍ وجنات، هذا هو الفوز العظيم، بهذا ليفرح الإنسان لا بالدنيا ومناصبها وما فيها من لذائذ منقضية زائلة.

-١٠

{**وَالَّذِينَ كَفَرُوا..**}: ما فكَّروا بالكون، عدم تفكيرهم جرَّهم وأوصلهم للكفر، فأنكروا نِعم الله عليهم، ما شاهدوا هذه النِعم من الخالق بل شاهدوها من المخلوق. {**..وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا..**}: كذبوا بما أنزل الله على رسوله من بيان عالٍ سامٍ ليسمو ويعلو بهم في الجنات، عدم تفكيرهم وإيمانهم أوصلهم لهذا الكفر والتكذيب. {**..أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا..**}: غداً في الآخرة يندمون على تفريطهم وليس لهم من صاحبٍ إلا النَّار، فيرمون بأنفسهم عليها لشدة ما فيهم من آلام وعار وندامة على خسارتهم لمشاهدة وجه الله الكريم. كذلك الآن في الحياة الدنيا حياتهم شقاء وضنك وتعاسة، ويقولون نشعر بنار في نفوسنا، وما هذه النار إلا نار الفواحش والشهوات المحرَّمة والتي ستكون سبباً لدخولهم نار الله الموقدة. {**..وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}: أعمالهم السيئة وإجرامهم وتكذيبهم عاد عليهم بالبؤس والسوء والنار.

-١١

{**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ..**}: ما أصابك أيها الإنسان من مكروه تكرهه لنفسك من مرض أو فقر أو ذل وشقاء كل ما أصابك لم يأتك: {**..إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ..**}: ليس لأحد بهذا فعل وحول أو قوة، عملت سوءاً فعاد عليك عملك بالسوء، أصابك ربُّك بهذا تنبيهاً وحبّاً ورحمة بك لتتوب وترجع عن خطئك وتؤمن فتنال السعادة منه سبحانه. {**..وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ..**}: بلا إلّه إلا الله ويؤمن برسول الله ﷺ هذا صار له نور. {**..يَهْدِ قَلْبَهُ..**}: بالنور الذي معه يعرف السبب الذي من أجله حلَّت المصيبة فيحسّن سلوكه. {**..وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ**

عَلِيمٌ}: عليم بك أيها الإنسان، عليم بنفسك وما يناسبها لذلك أرسل لك ما أرسل من مصائب، غيّر ما بنفسك وتب يرفع عنك الله ما تكره.

١٢ -

{**وَأَطِيعُوا اللَّهَ..**}: بما أمرك به، أمرك بالتفكير بالكون والإيمان ومحبة رسوله وطاعته، فأطعه، هذا الذي فيه خيرك وسعادتك. {**..وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ..**}: بما يبينه لكم عن حضرة الله، الرسول لا يتكلم إلا بما يأمره به الله، لذلك ما تكلم عليه السلام إلا بالقرآن، وكل ما أتى به من علوم ومعارف وأحاديث وأحكام هي من كلام ربّه من القرآن. {**..فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ..**}: أعرضتم عن بيانه ودلالته فما فكرتم بالكون وما آمنتم. {**..فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ..**}: لا يجبركم على السير بالحق، لكم الاختيار، رسول الله وظيفته البيان والإرشاد وليس بيده شيء غير دلالتكم وإرشادكم لما فيه سعادتكم وخيركم دنيا وآخرة. {**..الْمُبِينُ**}: فقط يبيّن لكم، بيانه ﷺ ودلالته بيَّنت لكم كل شيء، وبيَّنت أنه رسول الله، كذلك ما قام به من أعمال عالية كل هذا يدل على أنه رسول الله.

١٣ -

{**اللَّهُ..**}: صاحب الأسماء الحسنى المتجلّي بها عليك أيها الإنسان. {**..لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..**}: لا مسيِّر ولا فعَّال إلا هو سبحانه. {**..وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**}: المؤمن به، بلا إلّه إلا الله، هذا فقط يتوكل على الله، أما غير المؤمن فلا يستطيع وإن قالها بفمه فهو كذب وقلبه لا يقرُّ بها، وينكشف كذبه أمام أقل الأشياء. المؤمن شاهد ربه، شاهد لا إلّه إلا الله، شاهد تسييره وعلمه وقوته لذلك يتوكَّل عليه سبحانه، أما غير المؤمن ما شاهد هذا فكيف يتوكَّل!

رسول الله ﷺ بيَّن لكم لا إلّه إلا الله، فلا تخشَ أيها المؤمن ولا تخف ولا تطلب من أحد غير الله، فلا مسيِّر ولا فعَّال وليس لأحد حول وقوة إلا به سبحانه.

١٤ -

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا..**}: خطاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين وتحذير لهم من الوقوع والزلل. {**..إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ..**}: وهذا هو الواقع والحقيقة والتي لا يراها إلا من له نورٌ من ربه: الزوجة إن لم تسلك طريق الحق والإيمان ستعادي زوجها المؤمن من أجل شهواتها، تعاديه بالخفاء فإن لم يُجدِ عداؤها هذا تجهر به وتستعين بمن مثلها من الكفرة من أهلها، كل هذا لتحوِّل زوجها عن طريق الحق والإيمان وتفتنه بالدنيا وبما هي مفتونةٌ به، كذلك أولاده بعلاقتهم مع أمهم يميلون لها ولما هي عليه ويعملون معها ويساعدونها على أبيهم، وبهذا يُخشى على أبيهم المؤمن منهم وذلك لما في قلبه من رحمة عليهم "أولاده" أن يؤثِّروا عليه ويتحوَّل عن سيره بالحق وإيمانه. لذلك جاء التحذير لهذا المؤمن من الله تعالى وأظهر له هذه الحقيقة لئلا ينفتن وينغش بهم. {**..فَاحْذَرُوهُمْ..**}: كونوا حذرين لئلا يفتنوكم ويحوِّلوكم عن الحق وعن الله.

{**..وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا..**}: ولكن لا يمنعكم هذا من حسن المعاملة، حيث بالمعاملة الحسنة والرحمة قد تغيِّر الزوجة وتتوب والأولاد كذلك، ويسيرون بالحق. {**..فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}: يرسل لهم علاجات ومصائب ليشفيهم ويرحمهم، يريد شفاءكم وشفاءهم لأنه رحيم بكم، كذلك بصبرك عليهم تُشفى أيها المؤمن.

١٥ـ

{**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ..**}: امتحان: من الله فلا يستميلوكم للباطل، لا تعادل مالك وأولادك بالله، الله سبحانه أرحم وأشفق وأحن عليهم منك أيها المؤمن. {**..وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**}: بصبرك عليهم وجهادك بهم وجهاد هوى نفسك بعدم سيرك بالعاطفة؛ لك على هذا أجر وفضل من ربك كبيرٌ وعظيمٌ "لك الجنة فلا تضيّعها".

١٦ـ

{**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ..**}: اجتهدوا لتحصلوا على نور من ربكم، جاهدوا بالله حق جهاده، وراء جهادك لهوى نفسك نعيمٌ وعطاءٌ عظيم، إن جاهدتم تقبلون على الله فيحصل لكم نور منه سبحانه فتشاهدون الحقائق ولا يخدعُكم أحد، لا زوجة ولا ولد ولا صديق. كيف يحصل لكم النور وتصلون إليه: {**..وَاسْمَعُوا..**}: طبقوا ما يأمركم الله به بالتمام، أولاً فكروا بالموت، بمصيركم وحالكم في القبر، إن خافت النفس تستطيع التفكير بالكون وآياته. إن فكَّرت عظَّمت وقدَّرت ربك عندها تؤمن بلا إلّه إلا الله، إن آمنت بلا إلّه إلا الله تؤمن أن محمداً رسول الله عندها تطيعه. {..وَأَطِيعُوا..}: أطيعوا رسول الله بما يأتيكم به من أوامر عن حضرة الله، إن أطعتموه لا تقعون بالفتنة بعدها أبداً. {**..وَأَنْفِقُوا..**}: اعملوا المعروف: أنفق من مالك، جاهك، "جهادك في سبيل الله". {**..خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ..**}: كل الخير بالإنفاق وجهاد الهوى والنفس والعائد عليك بالخير والسعادة والنصر. {**..وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ..**}: شهواتها، المؤمن عزيز النفس. {..**فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}: كما الفلّاح يهيئ أرضه كذلك المؤمن بهذا يكون قد هيّأ نفسه لنيل الخيرات من ربه "أفلح دنيا وآخرة".

١٧ـ

{**إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا..**}: من عمل معروف وزكاة، الكلمة الطيبة إن تكلمتها أعطاك الله عليها خيراً كثيراً، أنت جئت للدنيا لتكون من أهل الإحسان والمعروف. {**..يُضَاعِفْهُ لَكُمْ..**}: إلى مالا نهاية، لكم عليه أجر إلى مالا نهاية، دائماً تأتيك الخيرات من وراء عملك. {**..وَيَغْفِرْ لَكُمْ..**}: يشفي نفسك مما فيها من أدران وذنوب علقت بها بالماضي، حيث النفس بعمل الخير والمعروف يصبح لها وجه أبيض تستطيع الإقبال عليه تعالى فيسري نوره سبحانه بها وتشفى من عللها وأمراضها "النفسية". {**..وَاللَّهُ شَكُورٌ..**}: يشكر لك هذا ويعطيك عليه الخير والعطاء الكثير. {**..حَلِيمٌ**}: عليك، يحلم عليك حتى تشفى نفسك.

١٨ـ

{**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ..**}: يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، الله سبحانه وتعالى مطّلع ومشاهد الغيب، علمه أحاط بكل شيء ولا نهاية لعلمه سبحانه وتعالى وهو علَّام الغيوب؛ أعلم رسله وأنبياءه وأطلعهم على الغيب. {**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**} *سورة الجن: الآية (٢٦-٢٧)*. فالسادة الرسل والأنبياء هم مفاتيح الغيب علَّمهم الله وأطلعهم على غيبه، بهم أيها الإنسان ترى الحقائق وكل شيء غاب عنك. لذلك تكلم ﷺ عن هذا الزمان وأهله وحوادثه وفصّله تفصيلاً دقيقاً، تكلم عن علامات الساعة حيث خروج النساء كاسيات عاريات، كذلك التطاول في البنيان وغيرها من علامات صغرى وكبرى وكل هذا كشفه الله لرسوله الكريم، والذين ارتبطوا به شاهدوا بمعيته هذه الحقائق والعلوم، فأصبح ما غاب عن الناس معلوماً عندهم ومُشاهداً.

{**..الْعَزِيزُ..**}: الذي لا يأتي الخير إلا منه. {**..الْحَكِيمُ**}: كل ما يأتيك الله به ضمن الحكمة وفي الوقت المناسب، حكيمٌ بك وبما يناسبك.

والحمد لله رب العالمين

تأويل سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

النبي ﷺ هو المتنبِّئ من الله بالحق، فكل ما تكلم به ﷺ فهو عن ربه لذلك فهو حق، ومن هنا جاءته العصمة، لأنه ﷺ دائماً مع الله لا ينقطع عنه طرفة عين.

تتضمن هذه السورة مجموعة من الأوامر والتشريعات يستطيع المؤمن المرتبط بالنبي أن يطبقها، ما دونه لا يستطيع، لذلك جاء الخطاب للمؤمنين عن طريق رسول الله ﷺ:

١ ـ

{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ..**}: وهذه هي خطوات الطلاق التي أمر الله بها قبل أن يقع الطلاق، والذي هو أبغض الحلال إلى الله: والعدة كما أمر الله وبيَّنها كالتالي: {**..وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً**} *سورة النساء: الآية (٣٤)*.

أولاً: **(فَعِظُوهُنَّ)**: الوعظ؛ ذكِّرها بالموت، يجب أن تتعلم أنت وتعلمها.

ثانياً: **(وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ):** الهجر أربعة أشهر وهذا حدّ صبرها على عدم المقاربة، فهي لا تستطيع الصبر أكثر من هذا. لا تلتفت نحوها في الفراش، أحسِن المعاملة في النهار، واهجرها في المضجع.

ثالثاً: **(وَاضْرِبُوهُنَّ)**: إن ما رجعت للحق تضرب، والمرأة لا تضرب إلا عند ترك الصلاة والصوم... ضرباً خفيفاً كأن ينهرها بيده.

إن لم تجدِ معها هذه الخطوات وخاف أهلها من الطلاق فيأتي حكَم من أهلها وحكم من أهله للتوفيق بينهما.

{**..وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ..**}: من أول يوم لا تَزِد ولا تُنقص. {**..وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ..**}: اسلك بنور الله حتى لا تظلِم، إيَّاك يا عبدي والظلم. {**..لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ..**}: تبقى في بيت زوجها لا تخرج منه. {**..وَلَا يَخْرُجْنَ..**}: إن صمَّمت الزوجة على الخروج وأصرَّت هناك سلطة، فالحاكم يمنعها من الخروج من بيت زوجها. {**..إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ..**}: بهذه الحالة تخرج مباشرة. {**..مُبَيِّنَةٍ..**}: يأتي بأربعة شهداء. {**..وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**}: قد ترجع الزوجة للصواب، فالله لا يريد لها الطلاق والهلاك، قد تغيِّر رأيها بعد المعاملة الحسنة.

٢ ـ

{**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ..**}: انتهت العدة من الوعظ والهجر والضرب ومن بعد حضور الحكَمان والحُكم. {**..فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ..**}: بالمودة والمحبة. {**..أَوْ فَارِقُوهُنَّ**

بِمَعْرُوفٍ..}: لا يجوز أن يرميها لعند أهلها، الإهانة لا يرضى الله بها. {**..وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ..**}: الحَكَم من المؤمنين. {**..وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ..**}: لا تنحاز عن الحق ولو كانت من أقاربك. {**..ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ..**}: إن كان الإنسان غير مؤمن بالله لا يستطيع أن ينفذ ما أمر الله تعالى به. {**..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ..**}: بهذه الأوامر. {**..يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**}: يخرجه تعالى من كل محنة منتصراً.

٣ ـ

{**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ..**}: دائماً بالسعادة والنعيم، ويعوّض الله عليه كل شيء. {**..وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ..**}: يحاسِب عنه. {**..إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ..**}: لا شيء يقف أمام ما يريد، الكل بيده وهو سبحانه فعَّال لما يريد. {**..قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**}: كل شيء يجريه الله ويفعله يأتي بالوقت المناسب.

٤ ـ

{**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ..**}: من بلغت من العمر /٥٠/ حتى /٥٥/ سنة. {**..مِنْ نِسَائِكُمْ..**}: المطلقات. {**..إِنِ ارْتَبْتُمْ..**}: إن شك الزوج أن تكون حاملاً وهي تكتم هذا الأمر عنه. {**..فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ..**}: يبقيها في بيته ثلاثة شهور حتى يتبيَّن إن كانت حاملاً أم لا، حيث أربعة أشهر هجر وثلاثة أشهر في البيت صاروا سبعاً، فيظهر الحمل للعيان إن كانت حاملاً. {**..وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ..**}: هؤلاء طلقوهن لعدتهن "قد تكون عاقر". {**..وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ..**}: حتى يضعن المولود. {**..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ..**}: بهذا، بهذه الأوامر ويطبقها. {**..يَجْعَلْ لَهُ..**}: الله. {**..مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**}: كل شيء يكون معه وليس من شيء ضده.

٥ ـ

{**ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ..**}: أمركم به. {**..أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ..**}: لتطبقوه. {**..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ..**}: يؤمن بلا إلٰه إلا الله وينظر بنوره. {**..يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ..**}: ما قام به من أعمال في الماضي يسترها عنه فلا يعود يراها. {..وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**}**: يعطيه على هذا أجراً عظيماً.

٦ ـ

{**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ..**}: ضمن إمكانياتكم، عاملوهن بالإحسان. {**..وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ..**}: تضيّق عليها لتسلب مالها وتتنازل لك عن حقها، احذر أن تفعل هذا فيؤاخذك الله ويقاصصك. {**..وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ..**}: إن كانت حاملاً. {**..فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ..**}: إن رضين وأرضعن أولادكم فلها الإرضاع سنتان وعليه الكسوة والرزق والإنفاق. {**..وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ..**}: لا تكلّفه الأم فوق طاقته. {**..وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ..**}: هناك مانع ولا تريد الإرضاع. {**..فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى**}: عند مرضعة.

٧-

{**لِيُنْفِقْ..**}: الأب على المرضعة التي سترضع له ابنه. {**..ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ..**}: إن كان غنياً يوسّع على المرضعة ويعطيها كالأم. {**..وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آَتَاهَا..**}: على حسب قدرته. {**..سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**}: هذا قانون.

٨-

إن لم تعملوا بما يأمركم الله وتسيروا بما شرعه الله لكم بهذه القوانين الإلَهية فسيأتي العذاب عليكم كما أتى على الذين من قبلكم.

{**وَكَأَيِّنْ..**}: كم وكم. {**..مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ..**}: ما عبؤوا بما أمرهم الله به، ما أطاعوا الله ورسوله. {**..فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا**}: إنكارهم وتكذيبهم وعدم سيرهم بالحق عاد عليهم بهذا العذاب، المؤمن لا ينكر، يعلم أنه مجزيٌّ على عمله إن ظلم وسيعود عليه عمله "ظلمه" بشيء لا يرضاه. غير المؤمن ينكر ما سيعود عمله من سوء عليه.

٩-

{**فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا..**}: جاءهم الهلاك ودُمِّروا ودُمِّرت بلادهم. {**..وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا**}: خسروا كل شيء، خسروا الدنيا التي من أجلها أنكروا وكذَّبوا رسولهم، ذهبت عنهم، وبالآخرة خسروا ما أعدَّ الله لهم من النعيم والسعادة وأوقعوا أنفسهم بالعذاب.

١٠-

{**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا..**}: حضّر لهم النار لتحوّلهم عمَّا فيهم من عذاب نفسي. {..فَاتَّقُوا اللَّهَ..}: أنتم أيها المؤمنون اسعوا ليحصل لكم نور من الله. {**..يَا أُولِي الْأَلْبَابِ..**}: من هم أولو الألباب؟: {**..الَّذِينَ آَمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا**}: هؤلاء فكروا بالموت، خافوا، استقاموا على أمر الله وطاعته وطلبوا النجاة، فكروا بالكون، آمنوا وشاهدوا لا إلَه إلا الله، هؤلاء يتنزَّل عليهم القرآن، يتنزل بقلوبهم فيتذكرون بمعية رسول الله، أي يستعينون بنوره ﷺ فيرون الحقائق ويشاهدون أسماء الله الحسنى ويتذاكرون بها.

١١-

{**رَسُولًا يَتْلُو..**}: يعيد. {**..عَلَيْكُمْ آَيَاتِ اللَّهِ..**}: الدالَّة على لا إلَه إلا الله، يدعوك ﷺ للتفكير بالشمس، بالقمر، بالليل والنهار، ببدايتك ونهايتك، وكلها آيات دالَّة على حنان الله ورحمته. {..مُبَيِّنَاتٍ..}: ظاهرة مكشوفة واضحة. {**..لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..**}: إن فكروا آمنوا عندها يخرجهم رسول الله ﷺ من الظلمات، ظلمات الشهوات إلى عوالم النور والجنة والسعادة، فلا يقعون بعدها بمنكر. {**..وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ..**}: هؤلاء لهم الجنة جزاءً على أعمالهم.

{..**تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..**}: كذلك الخيرات الماديّة يتمتعون بها وهي جارية عليهم، لذائذها غير منقطعة. {..**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..**}: على طول. {..**قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا**}:في الدنيا وفي الآخرة.

١٢ـ

{**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ..**}: هذه السماوات السبع وإن شئت فقل هذه الطبقات السبع وهي: سماء الهواء وسماء السحب وسماء القمر وسماء الكواكب وسماء الشمس وسماء النجوم ثم السماء السابعة وهي السماء المحيطة بالسماوات جميعها وهي أعظمهن قوة وتماسكاً. {..**وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ..**}: بالخيرات والعطاء، هذه السموات وظائفها مرتبطة مع وظائف الأرض، أي: مشتركة بالوظيفة مع بعضهم بعضاً. كذلك نظام الذرة الواحدة من الأرض يماثل نظام السماوات السبع. أفليس هذا النظام بدالٍّ على منظم حكيم وخالق قدير لتعلم أيها الإنسان أن الله مع كل ذرّة ومع كل مجرّة وكل شيء يعطيه حقَّه واستحقاقه المناسب دون زيادة أو نقصان. {..**يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ..**}: إن كان كما يدَّعون ويصفون السماوات فكيف يتنزَّل الأمر بينهن! هكذا أمر الله أن يكون بينهن علاقة وتنزيل، فالأنوار من النجوم تتنزَّل على الشمس وعلى الأرض، وأنوار الشمس تنزل على الأرض، كذلك الأمطار تنزل على الأرض فينبت الزرع. {..**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ..**}: كل هذا جعله الله ليعلم الإنسان ويشاهد أن الله على كل شيء قدير، فما معنى قدير؟ القدير: من القدرة ومن الإمداد، فلو كان الكون موجوداً ولا قوة وقدرة تديره وتحركه وتمده بما يحتاج فما الفائدة منه وهو كون جامد خامد لا حركة فيه؟ هل تنبت البذور وتخرج الأشجار والأثمار؟.

قدير: أي أن الله سبحانه متجلٍّ على الكون بالحركة والإمداد حتى يسير.

{..**وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**}: هذا الإمداد بالتربية والحياة إن فكرت فيه وآمنت تشاهد أيها الإنسان وتعلم أن يد الله محيطة بكل شيء، وأن الله عليم به وبما يناسبه، وهو سبحانه عليم بعملك وستجازى عليه.

والحمد لله رب العالمين

تأويل سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

لما وجد رسول الله ﷺ أن التسري بـــ (مارية) رضي الله عنها سيضر بأزواجه ويقطعهن عن الله تعالى، وبالتالي تعطيل للمصلحة العامة تلك التي تتأمن بما يقمن به من مهمة التبليغ. لذلك عزم ﷺ على الرجوع عن التسري بمارية حفاظاً على مصلحة أزواجه من جهة وتأميناً للمصلحة العامة من جهة أخرى.

وقد علم الله تعالى بما فعله رسوله الكريم واطَّلع على نيَّته العالية، وعلم ما انطوى عليه قلب مارية من الاستعداد للإيمان والأهلية للتبليغ، لذلك أمر تعالى رسوله ﷺ بأن يرجع عن عزمه في تحريم مارية، مخاطباً إيَّاه بقوله الكريم:

١ ـ

{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ..**}: أي لِمَ حرَّمت مارية على نفسك. {**..تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ..**}: لقد فعلت ذلك إرضاءً لخاطر أزواجك ليظَلَّن قائمات بمهمة التبليغ وحرصاً عليهن من التراجع عمَّا هنَّ عليه من منزلة القرب من الله تعالى. {**..وَاللَّهُ غَفُورٌ..**}: إن أذعنَّ للأمر الإلَهي وتراجعن عن معارضة زواجه ﷺ من مارية، فهو تعالى غفور لهن؛ يشفيهنَّ مما يجدن من الغيرة في قلوبهنَّ، إذ بطاعتهنَّ لله يقبلن عليه فتشفى قلوبهنَّ مما بها. {**..رَحِيمٌ**}: بهنَّ، يجعلهنَّ تعالى يرتقين في المعرفة في منازل القرب من حال إلى حال.

٢ ـ

{**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ..**}: ذكّر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بإمكانية رجوع الإنسان عن أمر عزم عليه، ذلك إن وجد أن المصلحة تقتضي هذا الرجوع. {**..وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ..**}: أي ما دامت غايتك وقصدك من عملك رضاء الله، لذلك فهو مولاك المتولي لأمورك، فيهديك ويرشدك إلى ما فيه الخير. {**..وَهُوَ الْعَلِيمُ..**}: بما في نفسك من النية العالية وبما في نفس مارية من الاستعداد للإيمان والأهلية للتبليغ. {..الْحَكِيمُ}: بفعله يسوق إلى كل امرئ ما يناسبه.

٣ ـ

{**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا..**}: أسرَّ ﷺ إلى السيدة حفظة أمر تحريمه مارية على نفسه. {**..فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ..**}: فلما أطلعت ضرائرها على ما أسرَّه الرسول الكريم إليها. {**..وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ..**}: عرَّفه تعالى بما فعلت. {**..عَرَّفَ بَعْضَهُ..**}: عرَّفها رسول الله ﷺ بأنه قد اطَّلع على ما أخبرت به. {**..وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ..**}: ولم يذكر لها أنه عزم على الرجوع عن تحريم مارية. {**..فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا..**}: من

الذي قال لك أنني حدَّثت ضرائري بما حدثتهن به من تحريم مارية. {..قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}.

٤-

ثم بلَّغ ﷺ زوجتيه السيدة عائشة والسيدة حفظة رضي الله عنهما ما خاطبهن الله تعالى به:

{**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ..**}: إن تراجعتما عن معارضة رسولي فيما أمرته به. {**..فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا..**}: فقد مالت قلوبكما للحق. {**..وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ..**}: تتعاونان على معارضته. {**..فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ..**}: دليله ومرشده إلى الطريق الذي يرد به كيدكما إن أصررتما. {**..وَجِبْرِيلُ..**}: بما يوحيه إليه بواسطة جبريل. {**..وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ..**}: ووالداكما أبو بكر وعمر هما عونٌ له ﷺ عليكما. {**..وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**}: معينون له على رفع محبتكما من قلبه.

٥-

{**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ..**}: في حال معارضتكن لرسول الله ﷺ فيما يأمره الله به. {**..أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ..**}: مستسلمات لأمره تعالى. {**..مُؤْمِنَاتٍ..**}: بأن الأمر بيده وأن أوامره تعالى كلها خير. {**..قَانِتَاتٍ..**}: دائمات الوجهة إلى الله لا ينقطعن عنه. {**..تَائِبَاتٍ..**}: عن أية معارضة لرسول الله ﷺ. {**..عَابِدَاتٍ..**}: مطيعات لأمر الله. {**..سَائِحَاتٍ..**}: سابحة نفوسهن دوماً بتجلي الله وفضله. {**..ثَيِّبَاتٍ..**}: ميالات بالحب لرسوله، راجعات إليه. {**..وَأَبْكَارًا**}: لم يسبق لهن أن تزوجن غيره ﷺ.

وهكذا فقد أذعنت زوجاته ﷺ للأمر الإلَهي، وبخضوعهن وعدم معارضتهن لرسول الله ﷺ حصل لهن من القرب من الله ما جعل قلوبهن تشفى مما بها وترقى في معرفته تعالى. وقد ذكر لنا تعالى هذه القصة في كتابه الكريم وجعلها تتلى إلى قيام الساعة ليرينا أن الإنسان إذا ترك أمراً وكانت غايته من تركه رضاء الله فلابد من أن يثيبه الله تعالى بأحسن مما فعل، فعملُ الرسول ﷺ واجتهاده في هذا الموضوع كان حسناً ونيته كانت عالية، لذلك رقَّاه تعالى إلى ما هو أحسن.

٦-

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا..**}: خطاب من الله تعالى للمؤمنين ليكملوا إيمانهم ويصلوا إلى الشهود واليقين، وبهذا نجاتهم وسعادتهم ونجاة أهلهم وإنقاذهم من الظلمات إلى النور ومن النار إلى الجنان. {**..وَقُودُهَا النَّاسُ..**}: الذين نسوا الله، نسوا ما عاهدوا الله عليه. {**..وَالْحِجَارَةُ..**}: ببعدهم عن الله تعالى قست قلوبهم، الحجر لا يخرج منه ثمر وهؤلاء ببعدهم عن الله ما كسبوا كمالاً ليفيضوا به، فما عملوا صالحاً وما أثمروا. {**..عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ..**}: الله سبحانه وتعالى يظهر الملائكة أمامهم بمظهر الشدة فالحكمة والرحمة تقتضي هذا، وهم يشاهدون الملائكة -هكذا- غلاظاً

شداداً، حالهم هذا كحال مجرم شاهد شرطياً فإنه يخافه ويرتعد منه أما غيره فلا يخاف بل يستأنس به. {**..لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}: الملائكة لا يخرجون عن طاعته سبحانه وتعالى.

٧ـ

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ..**}: حيث لا فائدة من الاعتذار يوم القيامة حيث لا تغيير، الاعتذار في الدنيا هنا، ذلك أن الإنسان يستطيع التوبة والتغيير والعمل، أما في الآخرة فقد انتهت الأعمال، فلا أعمال طيبة يقوم بها الإنسان والتي تكون سبب دخوله الجنة، لذلك لا فائدة من الاعتذار بلا عمل. {**..إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}: عملكم السوء عاد عليكم بهذا.

٨ـ

{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا..**}: التوبة النصوحة هي التوبة التي لا رجوع فيها للمعاصي والآثام أبداً، وهذه التوبة لا تكون إلا بإقبال النفس على الله، عندها يسري النور الإلَهي إليها وتشفى من عللها وأمراضها فلا تقع من بعدها بشيء سيِّئ ولا تقوم بعمل لا يُرضي الله. {**..عَسَى..**}: إن آمنتم إيماناً شهودياً، وهذه متوقفة على اختيار الإنسان ذاته وسيره بطريق الحق، فإن آمن وشاهد لا إلَه إلا الله، عندها الله تعالى: {**..رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ..**}: يستر عنكم الماضي وما فعلتم فلا تتذكرون منه شيئاً، بالنور الإلَهي يُمحى كل شيء من نفس الإنسان وتُشفى. {**..وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ..**}: من جنة لجنة ومن مشاهدة لمشاهدة أعلى وأرقى. {**..تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..**}: على طول بديمومة أبدية لا انتهاء لها. {**..يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ..**}: لابدَّ من نصر الإسلام. الضعف سرى بالمسلمين، والمؤمنون مفتونون بالدنيا وشهواتها وهذا الحال ليس بدائم فلابد أن يزول وذلك بظهور سيدنا عيسى عليه السلام ، وبذلك استمرار لأعمال النبي وأصحابه، فالله سبحانه لا يخزي النبي بأعماله وأعمال أصحابه التي قاموا بها فهم الذين فتحوا هذه البلاد ثم جاء غيرهم وسلبوها من المسلمين، والمسلمون بالشهوات غارقون ونائمون. {**..وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ..**}: رسول الله ﷺ وأصحابه دائماً أعينهم علينا، طموحهم بنا كبير ونواياهم عالية. دائماً يطلبون لنا الإيمان والنصر لأن أعمالهم فينا جارية ليوم القيامة وبصحيفتهم، فهم خائفون أن تنقطع أعمالهم وأعمالنا لذلك اهتمامهم بنا كبير. {**..وَبِأَيْمَانِهِمْ..**}: أعمالهم الكبرى لا يضيِّعها الله لهم، لا يخزيهم ولا يحرمهم منها وسيرجع لهم عملهم بقوَّةٍ وبسموٍّ وعلوٍّ إلى يوم القيامة. {**..يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا..**}: لا يتم نورهم حتى يوم القيامة لأن أعمالهم جارية لذاك اليوم، لذلك لابدَّ وأن الله سيعطيهم أعمالهم كاملةً. {**..وَاغْفِرْ لَنَا..**}: من رحمتهم علينا اعتبروا أنفسهم منا وفينا فهم يطلبون الشفاء من هذا الضعف لهؤلاء المسلمين. {**..إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}: قادر على نصرهم.

٩ ـ

{**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ..**}: إنّ هذه الآية في حقيقتها رحمة من الله على الكافرين والمنافقين ليتوبوا ويرجعوا إليه تعالى ويدخلوا الجنة، لأن الفتنة أشدُّ من القتل، عملهم وما هم عليه من فتنة وما سيعود عليهم ذلك بالدنيا والآخرة إنما هو أعظم من قتلهم، فالحكمة تقتضي بهذه الحالة الظهور بمظهر الشدة، لذلك أمر الله تعالى رسوله الكريم أن اشدد على الكافرين والمنافقين لأن نجاتهم وسعادتهم لا تكون إلا عن هذا الطريق، طريق الشدة.

وهذه هي الحكمة: أن تضع الأمور في مكانها المناسب.

{**..وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ..**}: إن ظلّوا على حالهم هذا ولم يتوبوا ويرجعوا إلى الله فالذل والحقارة عليهم، والنصر لك. {**..وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}: في الآخرة سيعود عليهم عملهم هذا بالنار والبؤس.

ومن رحمته ﷺ قام يدعو الناس، فجاهد الكفار والمنافقين وحاربهم حتى أسلموا وآمنوا.

١٠ ـ

{**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا..**}: في هذه الآية تحذير للذين كفروا قبل فوات الأوان. {**..اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ..**}: زوجاهما نبيان مرسلان وكلّ الأنوار والتجليات والجنات تُصَبُّ من الله عليهما، وزوجتاهما كانت لهما رابطة ومحبة بهما، لذلك كانتا تنالان من التجلّي المنصبِّ عليهما. {**..فَخَانَتَاهُمَا..**}: من بعد أن سارتا معهما وذاقتا ما عندهما من سعادة وجنات خانتا زوجيهما وما أخلصتا لهما بالسير.

زوجة سيدنا نوح عليه السلام رغم علمها بزوجها أنه رسول الله كانت تخفي عليه أمور شذوذ ابنها، هذه خيانة، فلقد مالت للباطل مع ابنها فأهلكت ابنها ونفسها. زوجة سيدنا لوط عليه السلام على الرغم من انحطاط أهلها وقومها إلا أنها أحبتهم ومالت إليهم وفضّلتهم على زوجها عليه السلام وبحبها هذا لقومها الكفرة انقطع عنها الوارد القلبي الذي كان يأتيها من زوجها فاغبرَّت نفسها وأصبحت سوداء مظلمة، حتى صارت تتكلم بالسوء على زوجها، وهو عليه السلام يحلم عليها علَّها تتوب وترجع عمّا هي فيه، وعندما جاء الهلاك وهي على هذا الحال هلكت.

هذه هي الخيانة، أن يحب الإنسان من يعادي الله ورسله ويخفي على رسول الله ﷺ ويتكلم عليه بالسوء. إذن الخيانة هنا قلبية لا جسمية. {**..فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا..**}: الله عادل، رغم نصح زوجيهما لهما ما غيرتا وما تابتا فما أغنى زوجاهما عنهما من الله شيئاً عند حلول البلاء والهلاك. {**..وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**}: هكذا كان مصيرهما، لابدَّ لهما من العلاج والتطهير. والله تعالى بهذه الآية الكريمة يرينا أن الإيمان قضية

قلبية وليست جسمية، فلا تركنوا بالمحبة للذين ظلموا أنفسهم فتصبح ميولكم وأهواؤكم مثلهم فتمسَّكم النار، المرء مع من أحب.

١١ -

{**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ..**}: الإيمان أمان من النكوث والخيانة، امرأة فرعون "سيدتنا آسية" رغم أن زوجها فرعون كافر ومجتمعها منحطٌّ ما استطاعوا التأثير عليها لأنها آمنت واتقت بسبب تعلُّقها بسيدنا موسى عليه السلام برباط المحبة المقدسة الإلٓهية، وأخلصت له فنالت عن طريقه كل الخيرات والجنات، فللإنسان الاختيار، ولا أحد يؤثر على أحد، وأنت حيث تضع نفسك. {**..إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ..**}: انظر أيها المؤمن ماذا طلبت امرأة فرعون، لم تنفتن بالدنيا وما عند فرعون من عزٍّ وجاه وشهوات بل طلبت رضاء الله والقرب منه، قالت: (**ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**)، طلبت الجنة فكان لها ما طلبت، واستجاب الله لها بسبب إخلاصها لرسوله سيدنا موسى عليه السلام إذ كان لها قرَّة عين. المؤمن التقيُّ طلبه مجاب من الله سبحانه وتعالى. {**..وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**}: أنفسهم. رأت أن زوجها ظالم قد ظلم نفسه بأعماله الإجرامية فلا نور ولا حياة في نفسه من الله، نفسه مظلمة بإعراضها عن ربها وعدم إيمانها وبسبب أعماله الإجرامية. كذلك كان قوم فرعون ظالمين لأنفسهم، ما دلُّوها على الله.

١٢ -

{**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا..**}: رفضت الزواج، لم تتزوج، أحصنت فرجها بعدم انقطاعها عن حضرة الله فلم يقربها ويدنو منها شيطان وما استطاع أن يوسوس لها. {**..فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا..**}: أرسل الله لها سيدنا جبريل عليه السلام حاملاً نفس ابنها سيدنا عيسى عليه السلام وألقاه بسيدتنا مريم، والجسد بلا روح لا يتشكل ولا يُخلق، كذلك مرَّت الروح معه واستقرت هذه الروح برحم مريم وتشكَّل جسم سيدنا عيسى عليه السلام . وهذه الروح موجودة عند كل الكائنات إلا أنها مقدَّسة عند الرسل والأنبياء عليهم السلام بسبب إقبالهم الدائم على الله. {**..وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا..**}: سمعت الكلام من المتكلِّم جلَّ وعلا، كانت تكلِّم ربَّها باليقظة من خلال رابطتها بالنبيين، كذلك صدَّقت بما أنزل الله من بيان ودلالة على سيدنا زكريا عليه السلام وما أنزل الله على ابنها سيدنا عيسى عليه السلام . {**..وَكُتُبِهِ..**}: التوراة والزبور والإنجيل. {**..وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**}: لم يصفها سبحانه وتعالى بالقانتات بل وصفها بالقانتين وذلك إظهاراً لشأنها العظيم. (**الْقَانِتِينَ): **أي المستديمي الوجهة إلى الله الذين لا ينقطعون عنه سبحانه وتعالى طرفة عين وهم السادة الرسل والأنبياء. معنى اسم مريم: أي كل من نظر إليها رأى الله، وهذه من صفات الأنبياء الكرام، لكنها ليست بنبيَّة إلا أنّ الله تعالى قرنها بالأنبياء لأنها شابهتهم بهذه الصفة فلم تنقطع عنه سبحانه وتعالى لا بالأزل ولا بالدنيا، قال تعالى: {**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ**

الْعَالَمِينَ} *سورة آل عمران: الآية (٤٢)*. ولم يحوّلها شيء عن الله، فما سلب عقلها وما أخذ لُبَّها إلا الله، ولم يذكر الله تعالى في القرآن من غير الأنبياء والمرسلين إلا اسمها.

والحمد لله رب العالمين